الفكوك

في أسرار مستندات حِكَم الفصوص

للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي

تأليف

العارف بالله تعالى الشيخ

صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي

المتوفى سنة ٦٧٣ هـ

ضبطه وصححه ووضع حواشيه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي





BOOKS - PUBLISHER

Beirut-Lebanon كتاب - ناشرون بيروت - لبنان

الفكوك

في أسرار مستندات حكم الفصوص

للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي

تأليف

العارف بالله تعالى الشيخ

صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي

المتوفى سنة ٦٧٣ هـ

ضبطه وصححه ووضع هوامشه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي



BOOKS - PUBLISHER

Beirut-Lebanon | بيروت - لبنان | كتاب - ناشرون

Al-fukūk
fī asrār mustanadāt
ḥikam "Al- Fuṣūṣ"

الفكوك
في أسرار مستندات
حكم الفصوص

Author : *Al-Sheikh Sadruddin Al-Qounawi (D.673H.)*

المؤلـف : الشيخ صدر الدين القونوي (ت 673 هـ)

Editor : *Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali*

المحقق : الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

Classification : *Sufism*

التصنيـف : تصوف

Year : *1434 H. - 2013 A.D*

سنة الطباعة : ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

Pages: *128*

عدد الصفحـات : ١٢٨

Size : *17 × 24 cm*

القيـاس : ٢٤ × ١٧ cm

Printed in : *Lebanon*

بلد الطباعة : لبنـــان

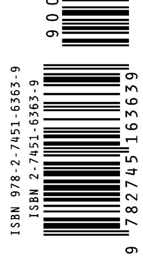
Edition : *First edition*

الطبعة : الأولـى

ISBN : *978-2-7451-6363-9*



Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel :+961 76 944 855-P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Soloh
E-mail: books.publisher@hotmail.com


ISBN 978-2-7451-6363-9

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

بسم اللَّه المتصف بكل كمال والمنزه عن كل نقص بمقتضى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] الرحمن بخلقه أجمعين إذ أخرجهم برحمته من عالم الإمكان مرجحاً وجودهم على عدمهم، بمقتضى ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: 156] وبمقتضى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: 5] والرحيم بعباده المؤمنين المتحققين بأنوار تجليات الأسماء الإلهية الحسنى التسعة والتسعين.

والحمد للَّه منزل جوامع كلم أسرار الأنبياء على الخليفة الكامل، بما جاء به من دين كامل، جامع لأنوار شريعة الإسلام، وأسرار طريقة الإيمان، وحقائق حقيقة الإحسان، سيدنا محمد ﷺ عبد اللَّه ورسوله وصفيه وحبيبه وخليله، الإنسان الكامل الجامع لتجليات الجلال، والجمال شهادة ملكه وملكوت قلبه وجبروت روحه.

وبعد ففي إطار تصوّف الشهود والعيان، تصوّف مقام الإحسان، مقام أن نعبد اللَّه كأننا نراه، فإن لم نكن نراه فإنه يرانا، نقدم للقراء الكرام المهتمين بهذا النوع من العلم الروحي الجبروتي كتاب (الفكوك في أسرار مستندات حكم الفصوص) للشيخ صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي الرومي من كبار تلامذة الشيخ الأكبر الذين ورثوا علومه، فقد تزوج الشيخ أمه ورباه في حجره، لذا فقد تشربت روحه علوم الشيخ الأكبر وصار الأقدر على فك رموزه وإشاراته الصوفية.

وكتاب فصوص الحكم للشيخ الأكبر هو كما يقول القونوي من أنفس مختصرات تصانيفه وهو من خواتيم منشآته وأواخر تنزلاته، ورد من منبع المقام المحمدي والمشرب الذاتي الجمعي الأحدي، فجاء مشتملاً

على زبدة ذوق نبينا صلوات اللَّه وسلامه عليه في العلم باللَّه ومشيراً إلى محتد أذواق أكابر الأولياء والأنبياء المذكورين فيه ومرشداً لخلاصة أذواقهم وما تضمنه مقام كمال كل منهم.

وعن سبب تأليف القونوي لكتابه الفكوك يقول: «ورغبوا (أي تلاميذه) في حل مشكلات هذا الكتاب واستجلاء غوامض أسراره الكلية وعلومه العلية التي هي غذاء أرواح أولي الألباب... واقترحوا علي أن أفك ختومه وأوضح سرّ محتده وأكشف مكتومه وأفتح مقفله بما يفصل مجمله فأجبتهم إلى ذلك».

ويبين المؤلف أنه لم يكتب كتابه الفكوك بعلمه العقلي الكسبي، بل بالأخذ عن اللَّه دون واسطة سببية بل بمحض عناية إلهية.

هذا ونرجو اللَّه تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما في هذه الكتب من الحب والإخلاص والصدق واليقين ومن أنوار ما تعبَّدنا اللَّه به على لسان نبيّه ﷺ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 3 ـ 4]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69] لننال السعادة الحقيقية المتمثّلة بمعرفة اللَّه تعالى في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22 ـ 23].

كتبه الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

ترجمة المؤلِّف الشيخ[1]

صدر الدين القونوي

- هو الإمام المحقِّق الشيخ محمد بن إسحق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي نسبة إلى بلدته قونية، وكانت تحت حُكْم الرومان وهي الآن إحدى مدن جنوب تركيا.

- كان القونوي شافعي المذهب الفقهي، أكبري المشرب الصوفي، فهو من خواصّ تلاميذ الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي الحاتمي المقرَّبين، الذين أخذوا عنه ونشروا مذهبه، وربما يعود السبب في ذلك إلى عامِلين،

الأول: أنّ أُمه أرسلته بعد وفاة والده وهو ما زال طفلاً غرّاً إلى الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي حيث درس على يديه الفقه وحفظ القرآن الكريم وتعلّم القراءات، وسرعان ما تأثّر بشيخه وبمذهبه الصوفي فزهد في زخارف الحياة الدنيا وانكبّ على التصوّف علماً وعملاً.

والثاني: أنّ الشيخ الأكبر تزوّج أُمه فشجّعه ذلك على مُلازمته حتى وفاته آخذاً عنه الكثير من العلوم والأسرار والحقائق الصوفية.

- جَرَت مكاتبات عديدة بين الشخ صدر الدين القونوي نصير الدين الطوسي في كثير من المسائل الفقهية التي عمَّت معارفه في ميدان الفقه الإسلامي وخاصّة المذهب الشافعي كما جرى بينهما مُكاتبات في مسائل

(1) للتوسّع في ترجمته يُرجَع للمصادر التالية: الاعلام للزركلي (6/ 30) ومفتاح السعادة (1/ 451) و2/ 211) وطبقات السبكي 5/ 19 وجامع كرامات الأولياء (1/ 133) وكشف الظنون (2/ 1956) وبروكلمان (1) والكتبخانة (5/ 363 و364 و7/ 176 و382).

الطريقة والحقيقة.

- كان له علاقات قوية مع نخبة من العلماء العارِفِين باللَّه تعالى من أمثال الشيخ سعد الدين الحموي وملا جلال الدين الرومي مؤلِّف «المثنوي» والشيخ أوحد الدين الكرماني والشيخ عبد الحق بن سبعين مؤلِّف كتاب «بدّ العارف».
- تتلمذ على يديه كلٍّ من الشيخ سعد الدين الفرغاني والشيخ فخر الدين العراقي والشيخ عفيف الدين التلمساني وقطب الدين الشيرازي.
- ترك القونوي العديد من الكُتب القيِّمة التي أَثْرَت المكتبة الإسلامية في عِلمَيْ الشريعة والحقيقة.

ومن كتبه: «إعجاز البيان في تفسير أُم القرآن وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا، والنصوص في تحقيق الطور المخصوص، واللمعة النورانية في مشكلات الشجرة النعمانية وقد نشر بتحقيقنا، ومفتاح الغيب وشرح الأحاديث الأربعينية، وشرح الأسماء الحسنى، والرسالة الهادية والنفحات الإلهية القدسية، والرسالة الرشيدية في أحكام الصفات الإلهية، والرسالة المفصحة، ولطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، وقد نشر بتحقيقنا وبرزخ البرازخ».

- وُلِد القونوي في بلدته قونية الواقعة جنوب تركيا وهو مجهول تاريخ الولادة، وتوفي فيها سنة 673 هـ / 1275 م ودفن في أحد الزوايا التي أصبحت فيما بعد مقاماً له يُزار حتى يومنا هذا.

[هو]

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الفكوك

في أسرار مستندات حكم الفصوص

1 ـ الحمد لله الذي أطلع من مشارق غيبه الأخفى شموس أنواره الباهرة، وأخشع لهيبته الأبهى أرواحه النيرة الطاهرة، وأخضع لنفوذ حكمه وإنفاذ حكمته المثلى بسطوات قهره النفوس الأبية النافرة، وأجزع من صدمات نقمته الكبرى الفرقة المستكبرة، فانقادت لحكمه صاغرة، وأسمع عصابة الإسلام والإيمان والتقى خطابه الكريم وسلك بها صراطه المستقيم، فابتدرت لأوامره طائعة ولأنعمه شاكرة، وأودع قلوب أرباب مقام الإحسان والصديقية العظمى أسرار الأعمال والشرائع الباقية والغابرة، وأمتع أولي الألباب والنهى بما أطلعهم عليه من لطائف الحكم وغرائب العلوم المودعة في الأرضين الساكنة والأفلاك السائرة، وتمنع في حجاب عزه الأحمى عن درك البصائر النافذة والأحداق الناظرة، وأطمع الصفوة من أحزبه في وصله وقربه الأنهى فآثرته على من سواه، وطلبته برغبة وافية وافرة.

2 ـ ثم أقطع من تلك الجملة لحضرته الزلفى الأخلص من الجميع والأصفى، فشرفهم بعد تعرفه إليهم وإشهاده بدوام لقياه وخالص وداده وخصصهم بنيابته فقاموا وسائط بينه وبين عباده، فانعمرت به سبحانه أوقاتهم وأحوالهم الباطنة والظاهرة، وأسرع إليهم بالإجابة إلى ملتمسهم

وترائى إليهم في آيات الآفاق وفي أنفسهم فتحققوا بمعرفته وشهوده بقلوب منورة وعيون باصرة.

3 ـ وصلى الله على الأكمل حظاً من هذا الشرف الأسنى والمتعدى بكمال ترقيه مقام قاب قوسين أو أدنى إلى المورد الأحلى والموقف الأجلى ـ مشرع الصفات والأسماء الحسنى ـ سيدنا محمد وآله وعترته والكمل من إخوانه والكاملين من ورثته سادات الدنيا والآخرة.

4 ـ وبعد: فإن كتاب **فصوص الحكم** من أنفس مختصرات تصانيف شيخنا الإمام الأكمل، قدوة الكمَّل هادي الأمة، إمام الأئمة محيي الحق والدين أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي رضي اللَّه عنه وأرضاه به منه، وهو من خواتيم منشئاته وأواخر تنزلاته، ورد من منبع المقام المحمدي والمشرب الذاتي والجمع الأحدي، فجاء مشتملاً على زبدة ذوق نبينا صلوات الله عليه في العلم بالله، ومشيراً إلى محتد أذواق أكابر الأولياء والأنبياء المذكورين فيه، ومرشداً كل مستبصر نبيه لخلاصة أذواقهم ونتائج متعلقات هممهم وأشواقهم وجوامع محصولاتهم وخواتم كمالاتهم، فهو كالطابع على ما تضمنه مقام كمال كل منهم، والمنبه على أصل كل ما انطووا عليه وظهر عنهم.

5 ـ ولا شك أن الاطلاع على أسرار كتاب هذا شأنه ومنبع علم هذا عنوانه موقوف على التحقق يورث كل من ذاق ذلك كله وفتح به عليه وكوشف له عنه وأرسل به إليه.

6 ـ ثم إنه لما أورد التعريف الإلهي إلى هذا الضعيف باختصاصه بسر الآخرية وأنه لا وارث لكمال جمعيته من صحبه غير ربه، تألم لانطواء هذا البساط الإِلى[1]، ونقض هذا الفسطاط العلي: فأخبر أنه سيبقى لبعض

(1) إلي: رباني، إلهي، والإل: العهد والقرابة والأصل الجيد، وكل اسم آخره إل أو إيل فمضاف إلى اللَّه تعالى (القاموس المحيط، مادة أَلَّ).

ما تشمل عليه هذه الجمعية حملة تابعون، كما قال صلى الله عليه وآله: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدول ينفون عنه تحريف الغالين وزيغ المبطلين**»[1].

7 ـ فحمد الله وَسُرَّ بهذه الأخبار وبقي منصبغ الحال بحكم التَّرجي والانتظار، فأقام الحق في هذا الوقت طائفة من خلص الإخوان وخاصة الأصحاب والخلان من أهل النفوس الفاضلة، الذين لم يقفوا عند ما وقف عنده أهل الهمم النازلة، بل عملوا بموجب ما اختاره سبحانه للصفوة من أحبابه وأشار إليه في محكم كتابه بقوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأحقاف: 19] ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: 148] فحملتهم المسابقة بالهمم السنيَّة إلى نيل المراتب العلية، ورأوا أن للمعقول حداً يقف عنده من حيث أفكارها التقييدية.

8 ـ فإن في المعلومات ما لا تستقل العقول النظرية بإدراك حقائقها وأسرارها لغلبة أحكامها الإمكانية، وإن بصائرهم تعشى عن استجلاء أنوارهم المطلقة الربانية، ورغبوا في حل مشكلات هذا الكتاب واستجلاء غوامض أسراره الكلية وعلومه العلية التي هي غذاء أرواح أولي الألباب، الذين خلصوا من حبوس قيود مدارك الفكر والحس، وخرجوا إلى فسيح حضرة القدس، فأدركوا حقائق الأشياء في مراتبها الكلية بالإدراكات المقدسة المطلقة الإِلّية، واقترحوا على أن أفك ختومه وأوضح سرّ محتده واكشف مكتومه وأفتح مقفله بما يفصل مجمله.

9 ـ فأجبتهم إلى ذلك علماً مني باستحقاقهم وتقرباً بإرشادهم إلى خلاقهم؛ هذا مع إني لم أستشرح من هذا الكتاب على منشئه رضي الله عنه سوى الخطبة ـ لا غير ـ لكن مَنَّ الله عليّ ببركته أن رزقني مشاركته في الاطلاع على ما اطلع عليه والاستشراف على ما أوضح لديه والأخذ عن

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب عن ابن عمر، حديث رقم (9012) [5/ 537] ورواه الطبراني في مسند الشاميين عن علي بن مسلم البكري برقم (599) [1/ 344].

الله دون واسطة سببية، بل بمحض عناية إلهية ورابطة ذاتية يعصمني فيما أورده من أحكام الوسائط وخواص الأسباب والشروط والروابط، ويجعل ذلك خالصاً لوجهه متقرباً إليه نافعاً لي ولهم هنا ويوم الورود عليه؛ آمين. رب العالمين.

10 ـ واعلم فتق الله بنور إرشاده فهمك وحقق بموجب علمه الأعلى الذاتي علمك: إن الفص عبارة عن خاتمة علوم كل مرتبة من المراتب المذكورة في هذا الكتاب وصورة أحدية جمعها، ونسبة أحكام كل مرتبة إلى المرتبة من وجه نسبة أجزاء العنصر إلى المزاج المتحصل منها والهيئة المتعقلة في عرصة العلم من اجتماع أحكام المرتبة، أية مرتبة كانت في المراتب المذكورة، وإلى أي اسم من الأسماء الإلهية استندت، هي كالنشأة الإنسانية المسواة.

11 ـ والفص الذي هو خاتمة علومها والحائز بأحدية جمعية أحكامها الكلية كالروح المنفوخ في تلك النشأة المسواة.

12 ـ ونقش كل فص الكلام المعرّب عن معنوية ذلك الفص ومعقوليته وما تشتمل عليه تلك المعنوية من حيث كليتها من الأمور التفصيلية والمسائل العلمية.

13 ـ والحكمة عبارة عن ضوابط تلك المسائل العلمية والأحكام الكلية بطريق الحصر لها مع التنبيه على أصل محتدها ومستندها من مطلق علم الحق والتعريف لذاته سبحانه من حيث تعيُّنه في تلك المرتبة، ومن ظهر بها وفيها ظهوراً معرباً عن المراد الإلهي الذي هو متعلق الإرادة الذاتية الأولى، وسر ذلك المتعين وما هو المراد بعينه.

14 ـ والمراد بالتبعية والكلمة عين ذلك النبي المذكور من حيث خصوصيته وحظه المتعين له ولأمته من حكم الحق الذي هو شريعته التي من حيثها يسمى نبياً.

15 ـ وأما من حيث معرفته بالحق ومن حيث علم الحق به وبلوازمه

والمؤقت والمتناهي من كل ذلك وغير المؤقت وغير المتناهي، فذلك جهة ولايته، ولكل كلمة كمال نسبي يخصها.

16 ـ وللأول والآخر الكمال الحقيقي، ولمن بينهما من الكمال بمقدار ما يشهد له الخاتم بالفص المترجم عن شأنه وشأن غيره، ولهذا الخاتم المترجم من كونه مترجماً عن كل شيء بكل شيء وبأحدية جمعه الإحاطة بجميع ذلك ـ كالعلم الذاتي الإلهي ـ لأنه صورة التعين الأول العلمي الذاتي الجامع للتعينات كلها، الذي من حيث هو يتعقل إطلاق الحق السابق كل تعين، والذي من جهته يتعقل مبدئيته ووجوب وجوده ووحدته وفياضيته وإيجاده ما أوجده بموجب تعلق علمه بنفسه وبكل معلوم على ما هو المعلوم عليه في نفسه، وإظهاره إياه بموجب حكم علمه فيه.

17 ـ والكل يسمى بالكلمة حصة من الحقيقة الإنسانية الكمالية، وللجامعين للحصص ثلاث مراتب كلية، وإن كانت الحقيقة تحتوي على أكثر من ذلك، فجامع الغالب على جمعية أحكام ظاهر الإنسانية الحقيقية وجامع الغالب على جمعية أحكام باطنها والجامع الثالث له الجمع بين الظهور والبطون في درجة اعتدالهما.

18 ـ وأما الأحكام المشار إليها: فأحكام الوجوب والإمكان، فللواحد من الجامعين الظهور بالأحكام الوجوبية في مرتبة الإمكان بحسب الإمكان وهو الغالب على شؤونه حكم نسبة الظهور بصورة الإنسانية، والآخر الظهور بأحكام الإمكان في حضرة الوجوب بحسب الوجوب، والآخر في المقام البرزخي الأعلى النقطة الوسطية التي بها يتعين الطرفان، وثمة من لا رتبة له على التعين يشار إليها، كالذات من حيث إطلاقها منه وبه يتعين الطرفان والمتوسط الجامع بينهما، ولا يتقيد بمرتبة ولا نسبة ولا اسم ولا وصف، ولا ينتفي أيضاً عنه شيء من ذلك وفيه يستهلك المراتب وأربابها، كما به تظهر.

(1)

فك ختم الفص الآدمي

[1/ 1] وأما اختصاص هذه الكلمة الآدمية بحضرة الألوهية، فذلك بسبب الاشتراك من أحدية الجمع، فكما أن الحضرة الألوهية المعبر عنها بالاسم الله تشتمل على خصائص الأسماء كلها وأحكامها التفصيلية ونسبها المتفرعة عنها أولاً والمنتهية الحكم إليها آخراً ولا واسطة بينهما وبين الذات من الأسماء ـ كما هو الأمر في شأن غيرها من بيان غير الأسماء بالنسبة إليها أعني بالنسبة إلى الحضرة الإلهية ـ كذلك الإنسان، فإنه من حيث حقيقته ومرتبته لا واسطة بينه وبين الحق، لكون حقيقته عبارة عن البرزخية الجامعة بين أحكام الوجوب وأحكام الإمكان، فله الإحاطة بالطرفين.

[2/ 1] ولهذا الاعتبار قال رحمه الله فيه: إنه الإنسان الحادث الأزلي والنشأة الدائم الأبدي، فله الأولية والتقدم على الموجودات من هذا الوجه.

[3/ 1] وأما سر آخريته فمن حيث انتهاء الأحكام والآثار إليه واجتماعها ظاهراً وباطناً فيه، كانبثاثها أولاً منه، وذلك أنه لما كان حكم شأن الحق الجامع للشؤون كلها وأحكامها دورياً وكان حكم ذلك الشأن ولوازمه من أمهات الشؤون أيضاً كذلك وهي المعبر عنها بمفاتيح الغيب، ظهر سر الدور في أحوال الموجودات وأحكامها وذواتها، فالعقول والنفوس من حيث حكمها بالأجسام وعلمها كالأفلاك المعنوية، ولما كانت الأفلاك ناتجة عنها وظاهرة منها، ظهرت بهذا الوصف الإحاطي والدورة صورة ومعنى.

[4/ 1] ولما كانت العقول والنفوس متفاوتة المراتب من حضرة

الحق بسبب كثرة الوسائط وقلتها وقلة أحكامها الكثرة في ذواتها وكثرتها، تفاوتت الأفلاك في الحكم والإحاطة، فأقربها نسبة إلى أشرف العقول أكثرها إحاطة وأقلها كثرة، والأمر بالعكس فيما نزل عن درجة الأقرب ـ كما ترى لما أشرنا إليه ـ.

[1/5] ولما كان الأمر كذلك في عرصة العقل المنور والشهود المحقق، اقتضى الأمر والسُنَّة الإلهية أن يكون وصول الإمداد إلى الموجودات وعود الحكم في الجناب الإلهي المشار إليه في الإخبارات الإلهية والتنبيهات النبوية والمشهود كشفاً وتحقيقاً، وصولاً وعوداً دورياً.

[1/6] فالمدد الإلهي يتعين من مطلق الفيض الذاتي بالبرزخية المشار إليها ويصل إلى حضرة العقل الأول المكنى عنه بالقلم ثم باللوح ثم العرش ثم الكرسي ثم باقي الأفلاك ـ فلكاً بعد فلك ـ ثم يسري في العناصر ثم المولدات وينتهي إلى الإنسان منصبغاً بجميع خواص كل ما مر عليه.

[1/7] فإن كان الإنسان المنتهي إليه ذلك ممن سلك وعرج واتحد بالنفوس والعقول وتجاوزها بالمناسبة الأصلية الذاتية حتى اتحد ببرزخيته التي هي مرتبة الأصلية، فإن المدد الواصل إليه بعد انتهائه في الكثرة إلى أقصى درجات الكثرة وصورتها، يتصل بأحديتها، أعني أحدية تلك الكثرة إلى تلك البرزخية التي من جملة نعوتها الوحدانية التالية الأحدية؛ فيتم الدائرة بالانتهاء إلى المقام الذي منه تعين الفيض الواصل إلى العقل.

[1/8] وهذا سر من لم يعرفه ولم يشهده لم يعرف حقيقة قوله تعالى: ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: 123].

[1/9] ومن هذا شأنه فهو الذي قيل فيه من حيث صورته العنصرية الآخرية الجامعة: إنه خلق في أحسن تقويم، ومن حيث حقيقته: إن أجره غير ممنون، ومن لم يكن كذلك فهو المنتهي إلى أسفل السافلين، لبعده بكثرته عن أصله الذي هو المقام الوحداني الإلهي الأَوَّلي، لأنه نزل من أعلى الرتب وهي البرزخية المذكورة إلى أقصى درجات الكثرة والانفعال

ووقف عندها، بخلاف الكمل الذين تمت لهم الدائرة، وإنهم وإن انحدروا، فهم مرتفعون في انحدارهم، كما قال بعض التراجمة في مدح نبينا ﷺ:

تـــخـــيـــرك الله مـــن آدم فما زلت منحدراً ترتقي

[1/ 10] والواقفون في أسفل السافلين ليسوا كذلك، فأنهم لم يتجاوزوا نصف الدائرة؛ فاعلم ذلك، فهذا سر اختصاص آدم بالحضرة الإلهية وسبب أوليته من حيث المعنى وآخريته من حيث الصورة، وجمعه بين الحقيقة الوحدانية التي هي محتد أحكام الوجوب وبين الكثرة التي هي محتد أحكام الإمكان، وانتهاء الأمر آخراً إلى الوحدانية من حيث إنه: ما جاوز الحد انعكس إلى الضد.

[1/ 11] فتدبر ما سمعت فإنه من لباب المعرفة الإلهية والإنسانية، فإنك إن عرفت ما ذكرنا لك، عرفت مراتب الأسماء وتفاوت درجاتها وتفاوت درجات الموجودات من حيثها، وعرفت سر قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾ [البقرة: 31] وإن سر الخلافة الجمع بين الوحدة والكثرة، لكن على الوجه المذكور؛ وعرفت سر الإمداد والاستمداد، وعرفت سر ظهور المعلولات بصور عللها، وعرفت سر قوله ﷺ: «**إن الله خلق آدم على صورته**»[1]. وإن تفاوت المدرك في الظهور والحكم لتفاوت الاستعدادات القابلة، وعرفت غير ذلك مما يطول ذكره؛ فتدبر ترشد إن شاء الله تعالى.

[سر تسمية الأنبياء بالكلمات]

[1/ 12] وأما **سر تسمية الأنبياء بالكلمات،** وكذلك تسمية الحق سبحانه الأرواح بهذا الاسم ـ بالموجودات ـ فموقوف على معرفة كيفية

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب الوعيد الشديد. . ، حديث رقم (2612) [4/ 2017] ورواه ابن حبان، ذكر الزجر عن قول المرء لأخيه. . ، حديث رقم (5710) [13/ 18] ورواه غيرهما.

الإيجاد والمادة التي منها وبها وفيها وقع الإيجاد، وهذا من أعظم العلوم وأغمضها وأشرفها وبيانه يحتاج إلى فصل بسيط ليس هذا موضعه، على أنه قد ذكرت أصوله في تفسير الفاتحة وفي كتاب النفحات، وسأذكر هنا على سبيل التنبيه ما يحتمل هذا الإلماع.

[1 /13] فأقول: قد كنى الحق سبحانه في الكتب المنزّلة عن التأثير الإيجادي بالقول، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ. . .﴾ [النحل: 40].

[1 /14] فاعلم أن فعل الحق إن كان بذاته بمعنى أن الفعل يليه لما يتوسط بين ذاته وبين المفعول إلا نسب معقولة يتميز بتعينها الإطلاق الذاتي عما تعينت به، كان اسم ذلك الفعل كلاماً والظاهر به **كلمة**، وإن توسط بين الفاعل الحق وبين ما يوجد، آلة وجودية أو صورة مظهرية بعينها ويستدعيها مرتبة المفعول التي هي محل إيقاع الفعل ومنزل نفوذ الاقتدار كان **قولاً**، لأن التأثير الإلهي في كل مؤثر فيه إنما يصدر ويتعين بحسب مرتبة المفعول، وكذلك الآلة والمظهر الذي هو صورة الحيثية التي من جهتها صدر ذلك الموجود.

[الحروف الأصلية الإلهية]

[1 /15] وإذا عرفت هذا فاعلم أن **الحروف الأصلية الإلهية** عبارة عن تعقلات الحق الأشياء من حيث كينونتها في وحدانيته، ونظير ذلك التصور النفساني الإنسان قبل تعينات صورها بعلمه في ذهنه، وهي تصورات مفردة خالية عن التركيب المعنوي والذهني والحسي، وهي المفاتيح الأول المعبر عنها بمفاتيح الغيب، وهي الأسماء الذاتية وأمهات الشؤون الأصلية التي الماهيات هي من لوازمها، ونتائج التعقل تعريفاتها.

[حضرة الارتسام]

[16/ 1] والتعقل الثاني **تعقل الماهيات في عرصة العلم الذاتي من حيث الامتياز النسبي وهو حضرة الارتسام** الذي يشير إليه أكابر المحققين والمتألهين من الحكماء بأن الأشياء مرتسمة في نفس الحق، والفرق بين الحكيم والمحقق في هذه المسألة هو أن الارتسام عند المحقق وصف العلم من حيث امتيازه النسبي عن الذات، ليس هو وصف الذات من حيث هي ولا من حيث أن علمها عينها، فتعقل الماهية من حيث إفرازها عن لوازمها في حضرة العلم هي حرف غيبي معنوي، وتعقلها مع لوازمها قبل انبساط الوجود المفاض عليها وعلى لوازمها، هي كلمة غيبية معنوية، وباعتبار تعقل تقدم اتصال الوجود بها قبل لوازمها يكون حرفاً وجودياً، وباعتبار انبساط الوجود عليها وعلى لوازمها الكلية تكون كلمة وجودية.

[17/ 1] وكما أن **تركيب الكلمات في النسخة الإنسانية** ينشأ من حرفين وينتهي إلى خمسة متصلة ومنفصلة؛ كذلك الأمر هناك. فنظير درجات التركيب هنا الأصول الخمسة المذكورة في مابعد، وللنفس الرحماني السراية في هذه الأصول الخمس وأمهات مخارج الحروف الإنسانية أيضاً خمسة، وهي: باطن القلب ثم الصدر ثم الحلق ثم الحَنَك ثم الشفتان؛ وهي نظائر مراتب الأصول، وباقي المخارج يتعين بين كل اثنين من هذه الأمهات. فافهم.

[العقل الأول]

[18/ 1] ثم أقول: فأبسط الموجودات الذي هو **العقل الأول** له ضرب واحد من التركيب ـ لا غير ـ وهو أن له ماهية متصفة بالوجود، فله من أحكام الكثرة الإمكانية حكم واحد، وهو أنه في نفسه ممكن، وهو من حيث ما عدا هذا الاعتبار الواحد واجب بسيط، وكذا شأن بقية العقول من هذا الوجه، لكن بسبب توسط العقل بينها وبين ذات الحق تزداد حكماً

وأحكاماً توجب تعقل كثرة ما في مرتبتها، لكن ليست كثرة وجودية تفضي بأن يحكم عليها بالتركيب.

[19/ 1] وأما **النفوس الفلكية**: ففي ثالث مرتبة الوجود الواحد، ثم يتنازل الأمر في التركيب إلى خمس مراتب، فالذي يلي النفوس **الأجسام البسيطة**، ثم المرتبة الخامسة **الأجسام المركبة**، فهذه هي الأصول المشار إليها من قبل.

[20/ 1] وقد روعي هذا **الترتيب الإيجادي** في كل كلام إلهي ينزل: فحرف، ثم كلمة، ثم آية، ثم سورة، والكتاب جامعها.

[21/ 1] وأما **الكتب**، فهي من حيث الأمهات أيضاً أربعة كالأجناس: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وجامعها القرآن.

[22/ 1] ولما كانت **الحيازة للإنسان** لجمعيته أحكام الوجوب الكلية والأحكام الإمكانية سمي كتاباً، وتفاوت حيطة الكتب وما تضمنه يشهد ويوضح سر تفاوت الأمم المنزّلة هي عليها، وسر الرسول المبلغ ما أنزل إليهم. فاعلم ذلك؛ تعرف سر تسمية الأنبياء بالكلمات، وكذلك سر تسمية الأرواح والموجودات بها؛ ولهذا الأصل فروع كلية: **منها**: ما ذكرته في التفسير. **ومنها**: ما ذكرته في مفتاح غيب الجمع وتفصيله، **ومنها**: ما ذكرته في النفحات؛ فمن أراد الإحاطة بأكثر أصول هذا العلم فليجمع إلى هذا الأصل ما تقدم ذكره يستشرف على علوم غزيرة غامضة شريفة جداً. والله المرشد والهادي.

(2)

فك ختم الفص الشيثي

[1/ 2] لما سبق ذكر سر الفص والحكمة والكلمة وسر الحروف والكلمات وسر اختصاص كلمة آدمية بنسبته إلى الحضرة الألوهية، لم يبق ما يجب التنبيه عليه بموجب الالتزام إلا بيان سر اختصاص كل كلمة بالصفة والنبي المذكور بعد آدم.

[2/ 2] فأقول؛ وأما الحكمة النفثية واختصاصها بالكلمة الشيثية: فمعرفة سرها موقوفة على استحضار مقدمة قد سبق الكلام فيها ـ مع وجوب التنبيه عليها هاهنا ـ وهو أن الحق لما ثبت أنه من حيث صرافة ذاته وإطلاقه لا يوصف بالمبدئية ولا أنه مصدر لشيء، وأن أول المراتب المتعلقة: التعين الجامع للتعينات كلها، وأن له أحدية الجمع وأنه خصيص بالإنسان الحقيقي الذي آدم صورته، وجب أن تكون المرتبة التي تليه مرتبة المصدرية الموصوفة بالفياضية والمقتضية للإيجاد؛ فلزم أن يكون فص الحكمة النفثية مخصوصة بالكلمة الشيثية.

[معنى لفظة شيث]

[3/ 2] لأن معنى لفظة شيث في الأصل عطاء الله ولأن النفث عبارة عن انفثاث للنفس الواحد وانبثاثه، وأنه عبارة عن الوجود المنبسط على الماهيات القابلة له والظاهرة به، وهذا الفيض إذا اعتبر من حيث مشرعه ومحتده كان واحداً ويسمى بهذا الاعتبار العطاء الذاتي، لأنه صادر عن الحق بمقتضى ذاته لا موجب له سواه، وإذا اعتبر تعدد صور ذلك العطاء في القوابل وتنوعه بحسبها، سمي عطاءاً أسمائياً هو فك ختام سر الترجمة.

[سر الختمية]

[4/ 2] ولما كان العطاء الأسمائي متعقل الاندراج في ضمن العطاء الذاتي لقبوله بالذات التعدد والظهور المتنوع في القوابل وبها، وجب ذكر **سر الختمية** في هذا الفص، لأن في المقام الإنساني تنختم الدائرة الوجودية وتتحد الآخرية بالأولية.

[مراتب الختمية]

[5/ 2] **وللمراتب الختمية كمال الحيطة والاستيعاب،** لأن لآخريتها كمال الاستيعاب معنى وصورة وصفة وحكماً؛ وقد نبه شيخنا رضي الله عنه على ذلك بإلماع لطيف وهو قوله في آخر هذا الفص: إن آخر مولود يولد في النوع الإنساني يكون على قدم شيث وأنه يولد توأماً مع أخت له؛ فأخبر بعموم الحكم الدوري صورة، كما هو الأمر في المعنى والصفة، وعين الحكم وانتهاء مقدار العطاء في الماهيات والاستعدادات المتناهية القبول، بخلاف القوابل التامة الاستعداد، فإن قابلياتها غير متناهية، فلها البقاء السرمدي.

[6/ 2] وموجب عدم صعق بعض الموجودات من الملائكة والأناسي ما ذكرناه من كمال الاستعداد القابل للفيض الذاتي على سبيل الاستمرار، ولمن هذا شأنه الرفعة عن مقام النفخ الإسرافيلي، فإن النفخ لا يؤثر في من علا عنه، بل في مَنْ نزل عن درجته.

[7/ 2] وهاهنا علوم غريبة جداً، تنبو عنها أكثر الأفهام، قل من يطلع عليها من أهل الله، أضربت عن التنبيه عليها لفرط غموضها، وشكرت الله على ما منح في الدنيا ﴿وَٱلْأَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 70].

(3)

فك ختم الفص النوحي

[3 /1] اعلم أنه لما كان أول المراتب الإلهية التي بها ثبت أولية الحق ومبدئيته مرتبة أحدية الجمع كما مر بيانه، كانت **صفة الفياضية والمصدرية** تليه على ما بُيّن؛ وكان أول القوابل لذلك الفيض الذاتي الإلهي **عالم الأرواح** وهي أتم الموجودات طهارة من الكثرة الإمكانية والتركيب والنقائص المكتسبة من الوسائط، وكانت نسبتها أيضاً من وحدانية الحق أتم من غيرها، فارتباطها بالجناب الحق إنما هو من هذا الوجه ـ لا غير ـ بهذا ما أدركت من الكمالات الإلهية شيئاً سوى ما استفادته من نسبة ارتباطها بحضرة الوحدانية وقبولها الفيض الوجودي غير منصبغ بأكثر أحكام الإمكانية والوسائط. ولهذا كان علمها مقصوراً على معرفة الحق من تجرده ونزاهته عن الكثرة والتركيب ـ لتضمنها صفة الافتقار ـ فظهرت بصفة التنزيه وانصبغت به.

[صفة التنزيه]

[3 /2] ولما كان نوح عليه السلام أول المرسلين وأول أحكام الرسالة مطالبة الرسول للأمة بتوحيد الحق وتنزيهه عن الشريك والمثْل والمنازع، لزم أن يكون **الغالب على حال نوح صفة التنزيه**؛ لأنه مبدأ ظهور الرسالة وأول قابل لحكمها، وأول مطالب للخلق بالتوحيد المشار إليه، فيه ظهرت أولية عالم الأرواح وصفتها القابلة أول الفيض الإلهي الوحداني والظاهرة بحكمه وصفته.

[3 /3] ولهذا غلب عليه حال **الغيرة والغضب** على قومه لما شاهد

انعكافهم على عبادة ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر حتى دعا عليهم بالهلاك بعد أن وصفهم بالظلم والنقائص، كما فعلت الملائكة في حق آدم حيث ذموه ووصفوه بالنقائص، فتداركهم الحق سبحانه بالتبكيت مع رعاية حسن مقاصدهم، حيث كان الحامل لهم على ما ذكروه الغيرة على جناب الحق وكراهة أن يعصيه أحد من خلقه. فافهم هذا؛ تعرف سر الحكمة السبوحية واختصاصه بنوح عليه السلام.

(4)

فك ختم الفص الإدريسي

[4 /1] اعلم أنه كما بينا ثبوت **المناسبة بين الصفة السبوحية ونوح عليه السلام،** كذلك إنما ذكر الشيخ رضي الله عنه إدريس بعد نوح، لاشتراك واقع بينهما، من حيث إن الصفة القدوسية تلي الصفة السبوحية في المعنى والمرتبة، فإن السبوح هو المبرىء والمنزه عن أن يلم به النقص، والقدوس هو الطاهر المقدَّس عمَّا يتوهم فيه من إمكان تطرق ما إليه يشينه بحيث تقدح في قدوسيته، والتنبيه على هذا المقام من القرآن العزيز وارد في آيات شتى: مثل قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: 100] ونحو ذلك، وكذلك التنبيه عليه وارد في الأحاديث والأدعية النبوية.

[4 /2] ومن جملتها: أن النبي ﷺ سأل جبرائيل أيصلي ربك؟ قال جبرائيل: نعم! فقال النبي ﷺ: ما صلواته؟ قال: «**سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي**»[1]. فقرن القدوس بالسبوح، ففي القدوسية معنى يوهم تطرق وصف ناقص إلى ذلك الجناب، وإن لم يعلم الواصف وجه النقص في ذلك التقديس، ويعلمه من يعلم علو الموصوف به عن أن يلم به مثل ذلك.

[4 /3] وأما سر اختصاص هذه الصفة بإدريس عليه السلام: فلأجل أن الكمال الذي حصل له إنما كان بطريق التقديس، وهو تروحنه وانسلاخه عن الكدورات الطبيعية والنقائص العارضة له من المزاج العنصري.

(1) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، باب من اسمه إبراهيم، حديث رقم (114) [1/ 42] ورواه الديلمي في الفردوس، برقم (4663) [3/ 226].

[4/ 4] وأيضاً فإنه لما قيل فيه إنه رفع مكاناً علياً، والعلو ـ كما ذكر الشيخ رضي الله عنه ـ على قسمين: علو مكان وعلو مكانة، وأخبر الحق أنه تعالى مع كل شيء، والأشياء لا تخلو عن أحد العلوين، وجب من هذا أن يكون الحق منزهاً عنهما نفياً للاشتراك. فأما تنزهه عن علو المكان فواضح لعدم تحيزه. وأما تنزهه عن علو المكانة: فإن كل علي بمكانة فإنه يتقيد بها، وإن علوه إنما يثبت بها ومن حيث هي ـ لا غير ـ ولهذا الاشتراك المتوهم قال سبحانه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1] بمعنى له متى توهم لأحد وأضيف إلى الحق بحسب معتقدهم فيه، فالحق أعلى من ذلك.

[سر التقديس والعلو الحقيقي]

[5/ 4] والسر فيه: الحق في كل متعين غير متعين، فكما تنتفي عنه الإشارة الحسية، كذلك تنتفي عنه الإشارة العقلية، فتقدس عمَّا يتوهم فيه من الاشتراك بسبب المفهوم من المعية وبسبب المفهوم من علو المكانة، وكما لم يكن الحق مقيداً بمكانة مخصوصة يتقيد علوه من حيثها ويقتصر عليها، كذلك كان مقدساً عن مفهوم الجمهور من العلوين، فعلوه حيازته الكمال المستوعب كل وصف وعدم تنزهه عما تقتضيه ذاته من حيث إحاطتها، وارتسام كل وصف بسمة الكمال من حيث إضافة ذلك الوصف إليه. فاعلم ذلك تعرف سر التقديس وسر العلو الحقيقي اللائق إضافته إلى الحق، وتنزهه عن العلوين المفهومين للجمهور المضافين إلى الغير.

(5)

فك ختم الفص الإبراهيمي

[5/1] والتنبيه على سره إنما قرن الحكمة المهيمية بالكلمة الإبراهيمية من أجل أن صفة التهيم تقتضي عدم الانحياز إلى جهة تعينها وعدم امتياز صاحبها بصفة مخصوصة تقيده، وهذا **هو مقام الخلة الأولى** الحاصلة من عدم ارتفاع الحجب، بخلاف الخلة الأخرى التي سألمع بسرها فيما بعد.

[5/2] فأما هذه الخلة الإبراهيمية: فلها أولية الظهور بالصفات الإلهية الثبوتية؛ بمعنى أنه بحقيقته كسى الذات بالصفات، ولهذه المناسبة ورد في الصحيح: «**إن أول من يكسى من الخلق يوم القيامة إبراهيم**»[1] عليه السلام. لأنه الجزاء الوفاق، وله ظاهرية البرزخية الأولى، وهو أول من كملت به كليات أحكام الوجوب في مرتبة الإمكان، فقابل كل حكم كلي منها بقابلية ظهر بها إثر ذلك الحكم الكلي في الوجود، وهي الكلمات التي اتمهن، فجيء عقب إتمامها بالإمامة على الناس.

[5/3] وأما الخلة الأخرى: في الخصيصة بنبينا محمد ﷺ ولا

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب كما بدأنا أول خلق نعيده. . ، حديث رقم (4463) [4/ 1766] ونصه عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال خطب النبي ﷺ فقال إنكم محشورون إلى اللَّه حفاة عراة غرلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ثم إن أول من يُكسى يوم القيامة إبراهيم ألا إنه يُجاء برجال من أُمتي فيُؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيُقال لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] إلى قوله ﴿شَهِيدٌ﴾ فيُقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم». وروى الحديث غير البخاري.

حجاب معها؛ لأن مقتضى الأولى مقابلة تعينات مخصوصة من تعينات الحق المعبر عنها بالصفات وبقابليات ذاتية بها غيرية هي لوازم حقيقة القابل، بخلاف خلة المصطفى ﷺ، فإن المقابلة فيها واقعة بين صفات ظاهرية الحق وبين صفات باطنية، مع أحدية العين التي هي الهوية الموصوفة بالظهور والبطون؛ ولهذا كان النبي ﷺ أشبه الخلق بإبراهيم عليه السلام والمحيي لملته، لأن بالتحقيق بالهوية يحيى ويتعين الطرفان ـ وهما الظاهر والباطن ـ لأنه لا ظهور إلا عن بطون متقدم؛ فالاسم الباطن أول تعينات الهوية، فثبت استنادهما إليها وتوقف تحققهما عليها.

[4/ 5] وقد أخبر الخليل ونبينا عليهما السلام عن ذلك بلسان الرمز والإشارة؛ فورد الإخبار النبوي: إن الناس إذا التجؤوا إلى الخليل يوم القيامة أن يشفع لهم ويقولون: أنت خليل الله اشفع لنا، يقول لهم: «**إنما كنت خليلاً من وراء وراء**»[1]، وأخبر نبينا ﷺ أيضاً: أن الخلق يلجؤون إلي يوم القيامة حتى إبراهيم عليه السلام، وكان آخر ما عين لنفسه من المقامات التي منحه الحق إياها مقام الخلة، وذلك في آخر خطبته خطبها قبل موته بخمسة أيام وقال فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «**أيها الناس! إنه قد كان لي فيكم إخوة وأصدقاء، وإني أبرأ إلى اللّه أن أتخذ أحداً منكم خليلاً: ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**»[2].

[5/ 5] إن «**الله قد اتخذني خليلاً ـ كما اتخذ إبراهيم خليلاً ـ أوتيت البارحة مفاتيح خزائن الأرض والسماء**»[3]. فكان ذلك تعريفاً منه بأكمل

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم (195) [1/ 186] ورواه أبو يعلى في المسند، عن أبي هريرة برقم (6216) [11/ 79] ورواه غيرهما.

(2) روى نحوه مسلم في صحيحه، باب النهي عن بناء المساجد على القبور. . ، حديث رقم (532) [1/ 377] ورواه بلفظه ابن حبان في الصحيح، ذكر اتخاذ اللّه جل وعلا صفيه ﷺ خليلاً. . ، حديث رقم (6425) [14/ 334] ورواه غيرهما.

(3) روى نحو القسم الأخير منه البخاري في صحيحه، حديث رقم (1279) [1/ 451] وكذلك مسلم في صحيحه، باب إثبات حوض نبينا ﷺ. . ، حديث رقم (2296) [4/ 1795] وروى نحوه غيرهما.

أحواله ومقاماته وسر ظهوره بحقيقته البرزخية تماماً، فإن البرزخية المذكورة وإن ثبت لها الجمعية، فإن الجمعية قد تحصل لمن يغلب عليه في جمعيته طرف الظهور وسر ظهوره ولمن يغلب عليه في جمعيته طرف البطون، وقد تحصل الجمعية لمن لا يغلب عليه طرف على طرف أصلاً.

[5 /6] واعلم أني وإن كنت قد ألمعت بشيء من هذا في فك ختم الفص الآدمي، فهذا هو تمام الأمر وروح القضية، فأمعن النظر في ما ذكرته لك، وكرر التأمل تستشرف على أمور جليلة من جملتها: أنه لما قرن شيخنا رضي الله عنه في ذكر مناسبة كل صفة إلى نبي، وبدأ بالمرتبة الجامعة للصفات وهي حضرة الألوهية، وقرنها بآدم الذي له الكمال الأول في الحيطة والجمعية، وتلاه بالعطايا الذاتية والأسمائية التي لها الأولية في المصدرية، وأورد فيها بذكر الصفات التنزيهية المزيلة توهم الكشف المتعقلة في الأسماء من حيث تعقل من جمعها بذاته، وكذلك الكثرة الموصوف بها العطايا.

[5 /7] ليعلم أن **الأمر من حيث الحق أمر واحد لا كثرة فيه**، وأن الكثرة المتعقلة في الأسماء والعطايا منتشأة من القوابل وبدأ بذكر السبوحية ثم القدوسية لأمر بيانه، وجب أن يذكر بعد صفات التنزيه السلبية أحكام الصفات الثبوتية ومراتبها وأول مظاهرها الإنسانية لتكميل مرتبة المعرفة بالذات، فإن السلوب لا تفيد معرفة تامة أصلاً.

[5 /8] فكان الخليل عليه السلام أول مرآة ظهرت بها أحكام الصفات الإلهية الثبوتية وأول من حاز التخلق بها، وكان لنبينا ﷺ التحقق بها، والفرق بين التخلق والتحقق هو أن التخلق يحصل بالكسب والتعمل في التجلي بها، فيكون صاحب التخلق محلاً لأحكامها وهدفاً لسهام آثارها؛ والتحقق بها لا يصح إلا بمناسبة ذاتية تقتضي بأن يكون المتحقق بها مرآة للذات. والمرتبة الجامعة للصفات ترسم فيه جميع الأسماء والصفات، ارتساماً ذاتياً لا على سبيل المحاكاة للارتسام الإلهي فيه،

أعني بصاحب التحقق يظهر وينفذ آثار الصفات والأسماء في المتخلقين بها وغيرهم من المجالي، الذين هم محال آثارها من الأناسي وغيرهم.
فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى.

(6)

فك ختم الفص الإسحاقي

[6 /1] اعلم أن شيخنا رضي الله عنه لم يلزم في هذا الكتاب مراعاة الترتيب الوجودي في شأن الأنبياء المذكورين وإن وقع كثير من ذلك مطابقاً للترتيب المشار إليه، بل إنما التزم التنبيه على المناسبة الثابتة بين النبي وبين الصفة التي قرنها به، والإشارة إلى محتد ذوق ذلك النبي ومستنده من الحق، ومع ذلك فقد منَّ الله بمعرفة ثبوت المناسبة الترتيبية الوجودية من أول الكتاب إلى هاهنا ـ كما سبقت الإشارة إلى جميع ذلك ـ.

[عالم الخيال]

[6 /2] وأما هذا الفص الإسحاقي: فمحتده عالم الخيال الصحيح المطابق والمناسب للمعنى الذي يتجسد به وفيه؛ والسر في استناد مبدئية حال إسحاق عليه السلام إلى عالم المثال المقيد هو أنه: لما كان أخص أحكام الصفات السلبية سلب الكثرة عن وحدة الحق، كانت الموجودات الصادرة عن الحق من حيث الصفات السلبية التنزيهية أقربها نسبة إلى الوحدة وأبعدها من مرتبة الظهور، وهي الأرواح، بخلاف الصفات الثبوتية، فإنه يجب أن تكون الموجودات الصادرة عن الحق من حيثها أقرب نسبة إلى الظهور وأتم تحققاً به.

[6 /3] وقد بينا أن أول حامل وظاهر بأحكام الصفات الثبوتية الخليل عليه السلام، فلزم أن يظهر في حال ولده الذي هو النتيجة حكم عالم الخيال وصفته، لأن عالم المثال المطلق مرتبته بين عالم الأرواح وعالم الأجسام؛ وقد ذكرت في كتاب النفحات وفي تفسير الفاتحة سر سفر التجلي الوجودي

الغيبي من غيب الهوية الإلهية طلباً لكمال الجلاء والاستجلاء؛ وأن أول منازله عالم المعاني ويليه عالم الأرواح وظهور الوجود فيه أتم منه في عالم المعاني، ويليه عالم المثال وهو المنزل الثالث وظهور الوجود فيه أتم منه في عالم الأرواح، ويليه عالم الحس وهو المنزل الرابع وفيه تمّ ظهور الوجود، ولهذا كان العرش الذي هو أول الصور المحسوسة والمحيط بها مقام الاستواء الرحماني؛ فإن عنده تم ظهور التجلي الوجودي واستقر؛ فإن الرحمة نفس الوجود والرحمن الحق من كونه وجوداً، ولذلك لم يضف الاستواء إلى اسم آخر قط سواه ـ حيث ورد ـ.

[مراتب عالم الخيال]

[4/ 6] ثم أقول: ولعالم الخيال مرتبتان واسمان: مرتبة مقيدة تختص بالإنسان وبكل متخيل ويسمى باعتبار تقييده خيالاً، وانطباع المعاني والأرواح فيه قد يكون مطابقاً وقد يكون غير مطابق، وذلك بحسب صحة شكل الدماغ واختلاله وانحراف المزاج واعتداله وقوة المصورة وضعفها، وهذا العالم في مرتبة إطلاقه يسمى عالم المثال، وكل ما يتجسد فيه يكون مطابقاً لا محالة، فإذا صحت المطابقة في الخيال المقيد كان حقاً لشبهه بعالم المثال في حقية ما يتجسد فيه من حيث الصحة والمطابقة. فلهذا ترجم الشيخ رضي الله عنه هذا الفص بالحكمة الحقية. فاعلم ذلك.

[5/ 6] ثم أقول: وللحقيقة والمطابقة سر آخر خفي جداً، من لم يطلع عليه لم يعلم سر الخيال المقيد وحقيقته وسر الرؤيا وسر العالم المثال المطلق وسبب صحة كل ما يتجسد فيه ومطابقته.

[6/ 6] فاعلم أن عالم المثال نسبته إلى صورة العالم الذي هو مظهر الاسم الظاهر نسبة ذهن الإنسان وخياله إلى صورته، وروح صورة العالم من وجه مظهر الاسم الباطن، ما المجسد ثمّة لِمَا لا صورة له من الأمور المعقولة هو الاسم الباطن والمدبر، ولا نقص في العلم هناك ولا في القوة

التي القوة المصورة من الإنسان نسخة منها؛ فإن الحق ذو القوة المتين، فلا يتجسد هناك شيء إلا بحسب ما علم، ولا جهل يتطرق في ذلك العلم، فوجب المطابقة والصحة، وهكذا هو الأمر بالنسبة إلى العقول والنفوس العالية.

[6/7] والأمر في الإنسان ليس كذلك، فإن قوته المصورة تابعة لنورية روحه وما سبق اطلاعه عليه، فأملاه بذاته على قوته المصورة، فيأخذ في محاكاته، لكن بحسب جودة هيئة الدماغ واستقامة المزاج وانحرافه وخاصية المكان والزمان، بخلاف ما يتجسد في عالم المثال ـ كالاسم الباطن أولاً ثم العقول والنفوس ثانياً ـ غير أنه ينبغي لك أن تعلم نسبة خيالات الأناسي المقيدة إلى عالم المثال نسبة الجداول إلى النهر العظيم الذي منه تفرعت وطرفها متصل به، أعني طرف كل خيال من الجهة التي تلي عالم المثال متصل به.

[6/8] فصحة خيال الإنسان ورؤياه له عدة موجبات بعضها مزاجية وبعضها خارجة عن المزاج، فالمختص منها بالمزاج: صحة هيئة الدماغ وما سبق ذكره، والخارج عن المزاج: بقاء حكم الاتصال بين خياله وبين جهة عالم المثال عن علم ومناسبة محققة تقتضي اتحاده به من إحدى جهتيه؛ وهذا كشف عال قل من يشاهده. رأيته ودخلت بنفسي في بعض مظاهرها من خيال المقيد إلى عالم المثال من باب الاتصال المشار إليه، وانتهيت إلى آخره وخرجت منه إلى عالم الأرواح، ثم إلى فيحاء مطالع الأضواء؛ والحمد لله على ما أنعم.

[مراتب الناس]

[6/9] ثم ليعلم أن الناس في مراتبهم على أقسام مختلفة تنحصر في ثلاثة أقسام:

قسم نازل قد طبع على قلوبهم، فلا يتصل به من نفوسهم ـ أي

قلوبهم ـ شيء مما هو منتقش في نفسه سابقاً أو متجدداً ـ إلا في النادر ـ كحال عارض سريع الزوال بطيء الإتيان.

وقسم يحصل لقلوبهم أحياناً صفاء وفراغ عن الشواغل واتصال من خياله بعالم المثال المطلق، فكل ما تدركه نفوسهم في ذلك الوقت فإنه ينعكس انعكاساً شعاعياً إلى القلب، وينعكس من القلب إلى الدماغ فينطبع فيه، فإن وجد في ما يرى إثر حديث النفس، فللقوة المصورة في ذلك مدخل الآلة من المزاج وما ذكرنا، وإن خلت الرؤيا عن حديث النفس وكان هيئة الدماغ صحيحة والمزاج مستقيماً كانت الرؤيا من الله وكانت في الغالب لا تعبير لها، لأن العكس عكس ظاهر بصورة الأصل، وهكذا هو رؤيا أكثر الأنبياء عليهم السلام.

[6 /10] وهذا هو السبب في عدم تأويل الخليل عليه السلام رؤياه وأخذ بظاهرها، ومن صار قلبه مستوى الحق لا ينطبع في قلبه غالباً أمر خارج، بل من قلبه يكون المنبع والانطباع الأول في الدماغ؛ ولما اعتاد الخليل عليه السلام الحالة الأولى وشاء الحق أن ينقله إلى مقام من وسع قلبه الحق. كان انطباع ما انبعث من قلبه الإلهي إلى دماغه انطباعاً واحداً فلم يظهر بصورة الأصل، فاحتاج إلى التأويل المعرب عن الأمر، المراد بذلك التصوير على نحو تعينه في العالم العلوي وذوات العقول والنفوس تعيناً روحانياً أو على نحو انبعاثه من القلب المتوحد الكثرة بصفة أحدية الجمع.

[6 /11] فاعلم ذلك وامعن النظر فيه، فإن هذا الفصل يتضمن علوماً خفية يعلم منها تفاوت مراتب النفوس ودرجاتها وشعب إدراكاتها السقيمة والصحيحة، ويعلم الفرق بين الخيال المقيد والمثال المطلق ويعلم نسبة كل واحد منهما إلى الآخر وإلى الحق، فإن كل خيال مقيد هو حكم من أحكام الاسم الباطن تجسد في عالم المثال المطلق تجسداً صحيحاً لصحة العلم والقوى المحاكية، وتجسد في كل خيال مقيد، هذا بحسب القوة

المصورة وبحسب المحل وبحسب أحوال المدرك والغالب عليه من الصفات زمان الإدراك، ويعلم أن الرؤيا التي لا تأويل لها ما أوجبه، وأن الرؤيا التي تحتاج إلى التأويل تكون لأنزل الطوائف وتكون لأكمل الخلق، بخلاف التي لا تأويل لها، فإنها حال المتوسطين ويعلم غير ذلك مما يطول ذكره مما نبهت عليه في الفصل وما أجملت ذكره.

(7)

فك ختم الفص الإسماعيلي

[7/1] اعلم أن متعلق هذا الفص ومرجعه إلى صفتين: صفة العلو وصفة الرضاء، ومحتده من الجناب الإلهي نسبتان: الوحدة الذاتية والجمعية الأسمائية؛ فأما سر اختصاص إسماعيل عليه السلام بالعلو: فهو من وجه بالنسبة إلى بقية أولاد الخليل عليه السلام من أجل أنه كان كالوعاء لسر الكمال المحمدي الذي نسبته إلى ذات الحق أتم، كما أن إسحاق عليه السلام وعاء لأسرار الأسماء التي كان الأنبياء مظاهرها.

[7/2] والإشارة إلى ذلك من القرآن العزيز قوله تعالى في سورة العنكبوت من قصة الخليل عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: 27] وكل نبي هو مظهر اسم من الأسماء، والكتاب هاهنا الأمر الجامع للشرائع، وانفرد إسماعيل بنبينا عليهما السلام الجامع لخواص الأسماء بشريعة جامعة لأحكام الشرائع، وهذا هو الموجب لقول الشيخ رضي الله عنه في أول الفص: اعلم أن مسمى الله أحدي بالذات كل بالأسماء، وذكر أن أحديته مجموع كله بالقوة.

[7/3] وقال رضي الله عنه أيضاً في مختصر الفصوص كلمات أذكرها بعينها هنا، تعين أن مقصوده الأصلي في تأسيس هذا الفص ما أذكره؛ وليعلم أنه لولا أن الله سبحانه أنعم بمشاركتي الشيخ رضي الله عنه في أصل الذوق ومحتده لم يكن معرفة مقصوده من فحوى كلامه، لكن متى حصل الاطلاع على أصل الذوق ومشرعه، عرف المقصود من فحوى كلامه، فلهذا اخترت ذكر تلك الكلمات ثم أردفها ببيان تتمات أسرار هذا

الفص المتضمن فك ختامه، والكلمات التي ذكرها في مختصر هذا الفص ولم نزد عليها من هذه.

[4/ 7] قال رضي الله عنه: وجود العالم الذي لم يكن ثم كان، يستدعي من موجده نسباً كثيرة في موجده أو اسماً ما شئت فقل، فلا بد من ذلك وبالمجموع يكون وجود العالم فالعالم موجود عن أحدي الذات منسوب إليها أحدية الكثرة من حيث الأسماء لأن حقائق العالم تطلب ذلك منه. ثم العالم إن لم يكن ممكناً فما هو قابل للوجود، فما وجد العالم إلا عن أمرين: عن اقتدار إلهي منسوب إليه ما ذكرناه من كثرة النسب، وعن قبول، فإن المحال لا يقبل التكوين، لهذا قال تعالى عند قوله: كن فيكون، فنسب التكوين إلى العالم من حيث قبوله. هذا نص كلامه رضي الله عنه.

[5/ 7] ثم أقول: ولما كان الخليل عليه السلام حاملاً للصفات الثبوتية التي من حيثها تكمل صورة الإيجاد، صحت له نسبة خاصة إلى الذات من حيث صفة الاقتدار، وكان إسماعيل عليه السلام مثال القابلية العالم من كونه محلاً لنفوذ الاقتدار فيه، ولهذا: ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ [مريم: 55] للمواتاة بأن يظهر فيه وبه أحكام القدرة.

[6/ 7] ولما كان العالم من حيث قابليته لما ينطبع ويحل فيه كالبيت، كما أشار إليه في أمر وجود العالم والموجودات بقوله: ﴿وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾ [الطور: 1 ـ 4] فالطور مرتبة العالم من حيث حقيقته الثابتة وإمكانه. والكتاب المسطور الممكنات الظاهرة في صفحة الوجود الذي هو الرق المنشور، لذلك اقتضت حكمته المحاكاة المظهرية أن يكون الخليل عليه السلام باني الكعبة والمعاون له فيه إسماعيل عليه السلام، فالكعبة التي هي أول بيت وضع للناس نظير حقيقة العالم القابلة للإيجاد الأول من الموجد من حيث صفة الاقتدار التي العقل الأول صورته.

[7/ 7] ذكر شيخنا رضي الله عنه جواباً عن الذين سألوه عن حقيقة

العقل الأول وكونه مم خلق، فقال: خلق من صفة القدرة لا من صفة غيرها، ولهذا سمي بالقلم، لأن القلم مضاف إلى اليد، واليد صورة القدرة، فالخليل من هذا الوجه مظهر العقل الأول الذي هو أول الأسباب الوجودية الإيجادية، والشرط في الإقامة بيت الوجود المتأسس على مرتبة الإمكان، وإسماعيل مظهر النفس الذي هو اللوح من حيث إنه محل الكتابة الإيجادية التفصيلية.

[8/ 7] وقد نطق الخليل على ما حكاه لنا الحق في كتابه يدل على ما ذكرناه عند من اطلع على أسرار القرآن وبطونه وحدوده ومطلقاته، وذلك قوله بلسان العقل الأول والنفس: وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ـ إشارة إلى وجود العالم ـ وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واحعلنا مسلمين لك مواتيين لما ترده من التصرف فينا وبنا في عالمك لك ـ ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ربنا وابعث فيهم ـ يعني في ذريته ـ ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129].

[9/ 7] وأخبر سبحانه عن هذه الترجمة العقلية والنفسية ثم الإبراهيمية في موضع آخر من كلامه فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا﴾ [البقرة: 126] (يعني هذا العالم) ﴿ءَامِنًا﴾ (يريد من العدم) ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35] (يعني الصور الطبيعية، والبنون هنا والذرية في الآية الأولى النفوس الجزئية) ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ (يعني الصور الطبيعية المزاجية) ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ﴾ [إبراهيم: 36] حتى استهلكت قواهم وصفاتهم الروحانية تحت قهر القوى الطبيعية كما هو حال أكثر الناس، فإنه لا يشهد فيهم من الصفات الروحانية والخواص الحقيقة الإنسانية شيئاً، كما أخبر الحق بأنهم كالأنعام بل هم أضل من الحيوانات.

[10/ 7] وفي موضع آخر رجح الحجارة عليهم فجعل رتبتهم أنزل من رتبة الجمادات؛ وكذلك ورد في الحديث الثابت عن النبي ﷺ أنه

خرج ذات يوم فسمع عمر يحلف بأبيه، فقال: «**لا تحلفوا بآبائكم، فوالذي نفسي بيده لما يدهده الجعل بمنخريه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية**»(1). فهذا معنى قوله: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي﴾ [إبراهيم: 36] بلسان إشارة باطن القرآن، لا بلسان التفسير المعهود. ثم قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾ [إبراهيم: 36] في الطهارة وتحصيل الكمال حال تدبير بدنه، فاستهلكت سلطنة طبيعته تحت أحكام عقله بتوفيق الله، ثم بتزكية من أرسل إليه منهم، المشار إليه في الآية الأولى: فإنه مني، لأني وإن لم يكن لي طبيعة أقهرها أو تقهرني، لكن اعتنى بي الحق فتلاشت أحكام إمكاني تحت أحكام وجوبي.

[7/ 11] وأما المناسك: فمظاهر النفوس من الصور المثالية والصور الحسية المخصوصة بالملائكة والأنبياء والأولياء.

[7/ 12] وأما التوبة: فالرجوع في كل نفس بصفة الافتقار إلى الحق ليأخذ من فيضه سبحانه ما يمد به من دونه.

[7/ 13] وأما الوادي: الذي لا زرع فيه فهو عالم الكون والفساد ـ فإن له الفقر التام ـ إذ محل الزرع الحقيقي هو ما يقتضي إبراز ما لا وجود له إلى الوجود، وعالم الكون والفساد ليس كذلك، لأنه مفتقر بعضه إلى بعض بعد افتقاره إلى إيصال المدد إليه من العالم العلوي، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 22].

[7/ 14] وقوله: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: 37] (إشارة إلى قلب الإنسان الحقيقي الذي وسع الحق واختص بأن يكون مستوى لذات الحق وجميع أسمائه دون غيره) ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: 37] (أي ليديموا التوجه بالافتقار إليك وتكون أنت وجهتهم) ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ

---

(1) لم أجده بلفظه ورواه البخاري بلفظ: «لا تحلفوا بآبائكم» باب أيام الجاهلية، حديث رقم (6272) [6/ 2450] ورواه مسلم في صحيحه، باب النهي عن الحلف بغير اللَّه، حديث رقم (1646) [3/ 1267] ورواه غيرهما.

﴿إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم: 37] (إشارة إلى الأرواح المنزّلة على الكمل من الأنبياء والأولياء ومن يدانيهم) ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [إبراهيم: 37] (يريد الإلقاءات الروحانية والعلوم اللدنية) ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37] ـ ظاهر ـ.

[7/ 15] قوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي﴾ [إبراهيم: 38] (أي ما تقتضيه استعداداتنا الغير المجعولة من الأمور التي لم تتعين لنا) ﴿وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾ [إبراهيم: 38] (أي وما حصل وظهر لنا ومنا بالفعل) ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: 38] يريد مراتب التأثير والتأثر الظاهرين بين أحكام الوجوب والإمكان، بمعنى أنه يعلم استعدادات صور العالم العلوي وأهله، وكذلك عالم السفلي وأهله، ولهذا أفرد ولم يقل السموات والأرضين.

[7/ 16] ثم قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ﴾ [إبراهيم: 39] وهما العقل الثاني والنفس.

[7/ 17] فإن قيل: فما نسبة يعقوب عليه السلام فإنه قد ذكر في الآية حيث قال: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: 27]؟

[7/ 18] فأقول، هو نظير الفلك، لأنه صدر عن العقل عقل ونفس وفلك، وكما تعين في الفلك معقولية البروج الإثنا عشر، كذلك كان ليعقوب إثنا عشر ولداً.

[7/ 19] وقال في الآية الأخرى: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ [البقرة: 130] أي جهلها وجهل شرفها ومرتبتها، فإنها في النفس بالقوة وبتحصيل الاستكمال تظهر بالفعل، فملّة العقل الأول الجمع لمعاني صفات الحق كلها، وملّة إبراهيم الظهور بأحكام الصفات والأخلاق الإلهية الثبوتية تماماً، كما قال سبحانه: ﴿فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾ [البقرة:

124] فظهر بالإمامة، كما كانت الإمامة الأولى للعقل الأول لكونه تلقى بكمال قابليته ما ذكر، ولنبينا ﷺ وبختميته الجمع بين ملّة العقل الأول التي انتهى إليها وملّة إبراهيم عليه السلام، فكان مرآة لجميع الصفات والأخلاق الإلهية المعنوية ومظاهرها ومصارفها كلها؛ ولذلك قال ﷺ: «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**». والإتمام إنما يكون بالجمع بين معانيها وصورها حتى أنه بالمصارف أظهر للصفات المذمومة كمالات صارت بها محمودة.

[7/20] وأما ما يختص الكعبة من هذه الآية وإبراهيم بلسان المطلع: فإن الكعبة بيت صفة الربوبية بالاعتبارين: اعتبار مغايرة الاسم المسمى، واعتبار عدم مغايرته له، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾ [قريش: 3] وكذلك صار مقام نفس بانيه الذي هو الخليل السماء السابعة، فإن النبي ﷺ أخبر أن مقامه هناك وأنه مسند ظهره إلى البيت المعمور، وأنه للبيت بابان، وأنه يدخل كل يوم سبعون ألف ملك من باب ويخرجون من باب آخر لا يعودون إليه أبداً، ونظير البيت المعمور من الإنسان من جهة بعض صفاته قلبه الصوري، والملائكة أنفاسه يدخل لعبودية القلب الحقيقي وترويح مظهره الذي هو القلب الصوري ويخرج بصفة أخرى، فهي في دخولها باردة وفي خروجها حارة ولا يعود إليه.

[7/21] وأشار ﷺ في الصحيح أيضاً في غير موضع إلى ما يستدل به اللبيب أن حضرة اسم الرب السماء السابعة، فمن ذلك ما ذكره في حديث القيامة: إن السموات تطوى وأنه كل ما طويت سماء نزلت ملائكتها واصطفت صفاً واحداً، وأن الخلق يأتونهم فيسألونهم يقولون لهم: أفيكم ربنا؟ فيقولون: لا، هو آتٍ. فإذا طويت السماء السابعة ونزلت ملائكتها وهم أعظم وأكثر عدداً من ملائكة باقي السموات المطوية، فيأتيهم الخلق سائلين ويقولون: أفيكم ربنا؟ فيقولون: نعم، سبحان ربنا»[1]. فقولهم:

(1) روى نحوه الحاكم في المستدرك، حديث رقم (8699) [4/ 613] والطبراني في الأحاديث الطوال برقم (36) [1/ 266] وروى نحوه غيرهما.

سبحان ربنا، هو من أجل ما أسلفنا لك من أن الاسم من وجه عين المسمى ومن وجه غير المسمى.

[7 /22] فالبيت المعمور محل نظر الحق ومسمى الرب، كما أن العرش مستوى اسم الرحمن، وأن الكرسي مستوى اسم الرحيم؛ والسماء السادسة مستوى الاسم العليم، والخامسة مستوى الاسم القهّار، والرابعة مستوى الاسم المحيي، والثالثة مستوى الاسم المصور، والثانية مستوى الاسم البارىء والسماء الأولى مستوى الاسم الخالق. وأما قلب الإنسان الكامل الحقيقي فهو مستوى الاسم الله الذي هو للذات، فلهذا أشار إليه: **بوسعني**[1].

[7 /23] ولما كان الحق من حيث أحديته الذاتية لا ينضاف إليه اسم، وكانت الكعبة مظهر الاسم الرب، فيجيب باعتبار أن الاسم عين المسمى أن لا يكون عند الكعبة زرع، لأنا لزرع هاهنا، كالاعتبارات والنسب والصفات الإضافية هناك، أعني بالنسبة إلى وحدة الذات التي لها الاعتبار المسقط للاعتبارات كلها، فحكم المناسبة المظهرية يقتضي ماذكرنا من أنه لا يكون عند الكعبة زرع أصلاً.

[7 /24] وكما أن أول لازم متعين من الذات هو علم الحق من حيث امتيازه النسبي ـ لا من حيث إن علمه عين ذاته، ولا من حيث إنه صفة زائدة على الذات ـ وهذا التعين العلمي هو تعين جامع للتعينات كلها المعبر عنها بالأسماء والأعيان، فالأشياء مرتسمة فيها، أعني في هذه النسبة العلمية، وتتعلق بالمعلومات بحسب ما هي المعلومات عليه في أنفسها.

[7 /25] كذلك **أول ما تعين عند محل الكعبة** ماء زمزم الذي هو مظهر العلم، وكان سبب تعينه كمال الطلب والافتقار، اللذين صار المتصف بهما محلاً لنفوذ الاقتدار الإلهي الذي القلم صورته، فظهر بالقبول والاقتدار،

---

(1) ونص الحديث كاملاً: «ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن». أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2256) [2/ 255].

وكانت هاجر مظهر القابلية وهي اللوح المحفوظ، يعني أكتب علمي في خلقي إلى يوم القيامة ليس مطلق قابلية المرتبة الإمكانية.

[7/ 26] وأما **سر كون هاجر مملوكة**: فهو من أجل أن القلم الأعلى من حيث تقدسه عن أحكام الكثرة والإمكان بحيث لا يتعقل فيه من أحكام الإمكان إلا حكم واحد، وهو كونه في نفسه ممكناً وأنه من حيث ما عدا هذا الاعتبار واجب باعتبار وجهه الذي يلي ربه، بخلاف اللوح المحفوظ الذي قلنا إن هاجر من وجه مظهره، فإنه محكوم للقلم بتمليك الحق إياه حيث جعله محلاً للتأثير فيه، فصار محكوماً لمحكوم. فالحرية للقلم مع ثبوت محكوميته لربه والمملوكية للوح؛ فوجب أن تكون هاجر مملوكة لما ذكرناه فافهم.

[7/ 27] وأما قول النبي ﷺ: «**ماء زمزم لما شرب**»[1]. له وقوله أيضاً: «**إنه طعام طعم وشفاء سقم**»[2]. ففيه سرّان عظيمان؛ أما سر ماء زمزم لما شرب له: فذلك من أجل أن أكثر علوم الناس بالله هي ظنون ليست علوماً محققة، ولذلك قال تعالى: «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**»[3].

[7/ 28] وأما سر كونه **طعام طعم وشفاء سقم**: فهو في حق من اطلع على سر القدر وتحقق بمعرفة تبعية القلم للعلم، وأنه واجب الوقوع، فيفرح بوقوع الملائم ويريح نفسه أيضاً من انتظار ما يعلم أنه لم يقدر وقوعه

(1) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، أول كتاب المناسك، حديث رقم (1739) [1/ 646] ورواه ابن ماجه، باب الشرب من زمزم، حديث رقم (3062) [2/ 1018] ورواه غيرهما.

(2) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب سقاية الحاج والشرب منها ومن ماء زمزم، حديث رقم (9441) [5/ 147] ورواه عبد الرزاق في المصنف بتب زمزم. . ، حديث رقم (9116) [5/ 115] ورواه غيرهما.

(3) رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من الثقة باللّه جل وعلا. . ، حديث رقم (633) [2/ 401] ورواه الدارمي في سننه، باب حسن الظن باللّه تعالى، حديث رقم (2731) [2/ 395] ورواه غيرهما.

ولا يحزن باطنه من الواقع غير الملائم ولا يعترض، وإليه الإشارة بقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: 22] وقوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: 23] وقول أنس عن النبي ﷺ أنه ما قال له زمان خدمته إياه مدة عشر سنين لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم نفعله لِمَ لَمْ تفعله، وإنما كان يقول: **لو قدر لكان**[1]. فاعلم ذلك.

[29/ 7] وأما سر ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 57] فهو صورة تبعية العلم للمعلوم وأخذ العالم العلم به منه، وكذلك تعين الأسماء الإلهية منا لقوابل وبها تحقق إضافة الآثار إلى الحق من حيثها، وهذا السر محجوب عن أكثر الخلق، فلذلك قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 37].

[30/ 7] والله لقد ظهر لي يومي هذا من العلوم والأسرار ما لو شرعت في تفصيل كلياته لما وفت ببيانه مجلدات كثيرة، فاعرف ما أسست في هذا الفصل من الأسرار تستشرف على علوم جمة من جملتها ـ بعد غور ـ شيخنا رضي الله عنه كيف شرع في أول الفص بذكر الوحدة الذاتية والجمعية الأسمائية وذكر معنى الإيجاد وتوقفه بعد العلم على القبول والاقتدار، هذا إلى غير ذلك مما لا يكاد ينحصر من العلوم، والله يقول الحق ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

(1) رواه بقسمه الأول الطبراني في الأوسط، برقم (9220) [9/ 91] ورواه بقسمه الأخير وهو [لو قضى لكان أو لو قدر لكان] ورواه ابن حبان في صحيحه، ذكر المدة التي خدم فيها أنس رسول اللّٰه، حديث رقم (7179) [16/ 145].

(8)

فك ختم الفص اليعقوبي

[8 /1] اعلم أن إقران الشيخ رضي الله عنه هذا الفص بالصفة الروحية وبناء الكلام فيه على ذكر الدين وأحكامه أسرار عظيمة ما لم تعلم لم تفهم مقصوده مما ذكره؛ فالسر الواحد الجامع بين الصفة الروحية والدين هو التدبير وهو على قسمين: ذاتي وكسبي تعملي، والنسخة الإنسانية مشتملة على التدبيرين وبهما بقاء الإنسان وصلاح حاله عاجلاً وآجلاً؛ **فالتدبير الذاتي** هو كتدبير الطبيعة المزاجية بموجب ما يشتمل عليه من القوى الذاتية والقوى المستفادة من العالم العلوي الحاصلة في طبيعة مزاج الإنسان، فإنها أيضاً فائضة من الفيض دون تعمل، كما هو قبول الطبيعة المزاجية لها وتصرفها الذاتي بذاتها وبموجب ما قبلته من تلك الآثار العلوية دون تعمل.

[8 /2] والتدبير الآخر **تدبير الروح** وهو على قسمين: تدبيره العقلي طلباً للاستكمال والتخلق بأخلاق الله والتجلي بصفاته وقصد التشبه بجنابه ـ دون التهمم بأحوال المزاج وتدفق النظر في مراعاة مصالحه ـ والقسم الآخر من التدبير للبدن والنظر لمصالحه، وهو تدبير جامع بين التدبيرين: الروحي والطبيعي؛ فإن التدبير للبدن والنظر في مصالحه تدبير يتوقع منه البقاء على الوجه الأصلح ويتضمن أيضاً بالنسبة إلى بعض النفوس أن يكون هذا التدبير والتهمم لطلب البقاء على الوجه الأصلح مقصوداً بعينه، بمعنى أنه الغاية، بل يهتم بذلك ويراعيه لأمر آخر ومطلب أعلى منه، وهو التخلق والتحلي والتشبه ونحو ذلك كما مر.

[8 /3] ولا شك أن هذا التدبير مخالف للتدبير الأول ولتدبير من لا

يعتقد بقاء النفوس ولا يعتقد المعاد الروحاني والجسماني المحقق الذي جاءت به الشرائع؛ فإن من هذا شأنه يهتم من حيث نفسه تدبير المزاج ومراعاته لعينه، لا لأمر آخر وراءه.

[4/ 8] والسر الآخر في إقران الصفة الروحية بيعقوب عليه السلام هو ما أشرت إليه فيما قبل من أن يعقوب عليه السلام كالمظهر والمثال للفلك الأول المسمى بالعرش، فهو أول صورة جسمية دبرها روح، فناسب ذكر الصفة الروحية هاهنا وأقرانها بيعقوب عليه السلام.

[5/ 8] ثم أقول: وهكذا هو أمر الدين، فالدين دينان: عقلي وشرعي ـ كما ذكره الشيخ رضي الله عنه ـ ولكل منهما معنيان: **أحدهما**؛ الطاعة والانقياد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: 19] والانقياد والطاعة على قسمين: **ظاهر وباطن**، وكل واحد من القسمين ينقسم إلى قسمين: انقياد وطاعة بالطبع والذات، وانقياد وطاعة بتعمل.

والمعنى الآخر الإجزاء ويترتب على ذلك من وجهين: ذاتي أيضاً وإرادي، فالذاتي يكون بالعدل والموازنة ومعرفته من أجلّ المعارف، والإرادي يظهر على وجه يظن أن فيه مزيداً على الموازنة، وليس الأمر كذلك.

[6/ 8] وتدبير الدين أيضاً على وجهين: **أحدهما**؛ سياسة المتضمنة حفظ مصلحة العالم في الحالة الراهنة عموماً وخصوصاً، وإليه الإشارة بقولي: عاجلاً؛ والتدبير الآخر هو النظر في أمر المعاد وعواقب الأمور.

[7/ 8] وإذا صح هذا فأقول: كل ما ذكر الشيخ رضي الله عنه من أسرار الأنبياء ومحتد أحوالهم من أول الكتاب إلى هنا راعى فيه التنبيه على سر أولية كل مرتبة من مراتبهم، ولقد نبهنا على ذلك فلا يغفل عنه المتأمل لهذا الكلام؛ فحق لنا بعد أن نبهنا على سر الصفة الروحية واختصاصها من حيث هذه الإضافة بيعقوب عليه السلام وأقران ذلك بالدين أن ننبه على أصل المجازاة وبما يلائم وبما لا يلائم محتدها.

[8/ 8] فنقول: اعلم أن المجازاة الأولى الكلية تعينت باعتبار الرحمة العامة الإيجادية التي وسعت كل شيء بمطلق قابلية الممكنات المخلوقة، وقيامها مقام المرايا لظهور الوجود فيها، وظهور آثاره وتنوعاته ظهوراته بها، ومن حيث إنها لما كانت شرطاً في ظهور أحكام الأسماء وتعيناتها ـ كما مر ـ عوضت بالتجلي الوجودي الذاتي الذي ظهر به عينها لها ونفذ حكم بعضها في البعض، فظهر بذلك أيضاً شرف بعضها على البعض بمزيد الاستعداد وقبول الوجود على وجه أتم ووضوح حجة الحق على القوابل الناقصة والموجودات الموصوفة بالشقاء، إن ذلك لم يوجبه الحق عليها من حيث هو، بل ذلك منها لا من سواها. والذي للحق إظهارها بالتجلي الوجودي على نحو ما علمها، وهذا السر هو مفتاح سر القضاء والقدر أيضاً. فاعلم ذلك.

[9/ 8] فهذا أصل المجازاة بالموافق، وأما أصل المجازاة بما لا يوافق: فذلك راجع إلى القيود والتغير العارض للتجلي الوجودي من القوابل وحسن المواتاة لما يراد من القابل وعدمه، فالتكليفات من مقابلة تلك التقيدات الغير المرضية، ففي أي قابل تقل القيود والتغيرات في التجلي المقبول وظهرت فيه مواتاة مرضية، كان تكليفه أقل وكان ما لا مندوحة عنه من التقيدات مما هو ضروري الوقوع معفواً عنه ومغفوراً لصاحبه ومستهلك الحكم في جنب باقي الصفات والأحكام التي ظهر القابل بها على الوجه المراد.

[10/ 8] فافهم هذا فإنه من أغمض العلوم، ومن علم سره علم سر الوجوب والتكليف وسر الإباحة والتقييد المسمى بالمحرم والحلال المطلق، والعفو والمغفرة، وسبب الشقاء والسعادة والرضاء الحق وسخطه وسر عدم تكليف الصغار من الأناسي وعدم تكليف الحيوانات، وأن ذلك راجع كما بينا إلى المطاوعة الذاتية والانقياد بالطبع والظهور بما أريد منه، بخلاف الإنسان، فإنه ادعى بحاله من حيث قابليته الصورة الإنسانية أن يكون

مرآة لحقيقتها تماماً، بحيث يظهر أحكامها بالفعل، فقوبل بالامتحان مقابلة ذاتية بموازنة حقيقة عدلية كما سبقت الإشارة إليه وكما أخبر الله سبحانه عن ذلك بلسان بعض المقامات التي تشتمل عليها الحقيقة الإنسانية وهو قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ . . . إلى آخر الآية وإلى قوله: ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 1ـ 3].

[8/ 11] ويعلم من هذا الفصل أيضاً سر الرحمة العامة الذاتية والفيض الجودي وأنه في مقابلة مطلق القبول للتجلي الوجودي، فيدرك الفرق بين مطلق القبول وبين القبول على وجه مخصوص، ويعلم غير ذلك مما يطول ذكره.

[8/ 12] وهذا المقام يحتوي على علوم جمة كلية أضربت عن إيرادها طلباً للاختصار، وما سوى ما أشرت إليه من أصول هذا الفص فقد نبه شيخنا رضي الله عنه فلنقتصر على ذلك.

[8/ 13] لكن بقي تتمة لطيفة من أسرار هذا الفص اليعقوبي أذكرها واختم الكلام عليها إن شاء الله تعالى؛ وهو أن يعقوب عليه السلام ظهر بوصف الدينين فجوزي بالجزائين، فكان من جزائه بما لا يلائم ما قاساه من فراق يوسف عليه السلام ووقع ذلك في مقابلة فعل صدر منه.

[8/ 14] فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال ما هذا معناه وهو أن يعقوب عليه السلام ناجى ربه بعد فراق يوسف فقال: يا رب أخذت ولدي وريحانة قلبي فرده علي أشمه شمة ثم افعل بي ما شئت، فأوحى الله إليه: ألم تعلم لم كان ذلك؟ قال: لا! قيل له: إنك كنت تأكل في بعض الأيام طعاماً شهياً فمر ببابك سائل جائع فلم تعطه من ذلك الطعام، فكما أحرمته ما يشتهي أحرمناك ما تشتهي، فتاب يعقوب عليه السلام. قال: وكان بعد ذلك إذا أراد أن يتغذى يقيم شخصاً بباب بيته ينادي: ألا إن يعقوب إسرائيل الله يتغذى، فمن شاء أن يتعذى معه فليأت؛ ولما أخذ يوسف أخاه بحجة الصواع كتب إلى يوسف قبل أن يعلم من هو صاحب مصر.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[15/ 8] من يعقوب إسرائيل الله إلى عزيز مصر! سلام عليك! أما بعد: فإنا أهل بيت خص بنا البلاء؛ فأما جدي: فإنه ألقي في النار فجعلها الله عليه برداً وسلاماً؛ وأما أبي فابتلي بالذبح ففداه الله بذبح عظيم؛ وأما أنا فكان لي ولد أحبه وآنس به، فأخذ مني، وقد بلغني أنك أخذت لي أيضاً ولداً لأنه سارق، فالله الله في بني فإني لم أسرق ولم ألد سارقاً، والسلام.

[16/ 8] فأجابه يوسف: سلام عليك! من عزيز مصر إلى إسرائيل الله! أما بعد: فإنه وصل كتابك الذي ذكرت فيه شأنك وشأن آبائك، وقد عرفنا ذلك، فاصبر كما صبروا تظفر بما ظفروا، فوطن نفسك على الصبر والرضاء؛ فجازاه الله بما يلائم وجمع بينه وبين أولاده على ما يحب ويرضى.

[17/ 8] والسر الآخر في ذلك هو أن القلوب التي شاء الحق منها أن يتجلى له ليصير مستواه ومنصة تجليه، لا يرضى أن يشارك فيها، فلما أخذ يوسف من قلب أبيه مكاناً لبقية مناسبة ثابتة بين يعقوب وبين ما سوى الحق، أخذ الحق يوسف عنه بيد الغيرة وصقل بالحزن وألم الفراق قلبه؛ فلما آيس وانفرد للحق وتطهر من حكم السوى، رد الله إليه أولاده على أحسن حال وهو الجزاء بما يلائم، وهذه معالجة الربانية وطب إلهي قل من يعرف سره؛ وهذا مقام شريف في طريق الله جربت له بركات لا تحصى وشاهدت صحة هذا الحكم والمجازاة في نفسي وفي جماعة من أهل الله، والحمد لله.

(9)

فك ختم الفص اليوسفي

[9/ 1] المضاف إلى الصفة النورية. اعلم أن النور الحقيقي يدرك به وهو لا يدرك، لأنه عين ذات الحق من حيث تجردها عن النسب والإضافات، ولهذا سئل النبي ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «**نورٌ أنَّى أراه؟**»(1). أي: النور المجرد لا يمكن رؤيته؛ وكذا أشار الحق في كتابه لما ذكر ظهور نوره في مراتب المظاهر وقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: 35] فلما فرغ من ذكر مراتب التمثيل قال: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ﴾ [النور: 35] فأحد النورين هو الضياء والآخر النور المطلق الأصلي؛ ولهذا تمم فقال: ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [النور: 35] أي يهدي الله بنوره المتعين في المظاهر والساري فيها إلى نوره المطلق الأحدي.

[9/ 2] ولما سأل ابن عباس رضي الله عنه عن رؤية النبي ﷺ ربه أخبر أنه رآه، فأخبر بقول عائشة رضي الله عنها وقولها عن النبي ﷺ: وقد سألته عن رؤية ربه وقوله: نورٌ أنّى أراه؟ فراجع السائل ابن عباس في ذلك فقال ابن عباس: ويحك! ذاك إذا تجلى في نوره الذي هو نوره، أي إنما يتعذر الرؤية والإدراك باعتبار تجرد الذات عن المظاهر والنسب والإضافات، فأما في المظاهر ومن وراء حجابية المراتب: فالإدراك ممكن. كما قيل:

كالشمس تمنعك اجتلاءك وجهها فإذا اكتست برقيق غيم أمكنا

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب في قوله عليه السلام نور أنى أراه. .، حديث رقم (178) [1/ 161] ورواه الطبراني في الأوسط برقم (8300) [8/ 170] ورواه غيرهما.

[9 /3] وإلى مثل هذا أشار النبي ﷺ في بيان الرؤية الجنانية المشبهة برؤية الشمس والقمر، فأخبر عن أهل الجنة أنهم يرون ربهم وأنه ليس بينه وبينهم حجاب إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن؛ فنبه ﷺ على بقاء رتب الحجابية وهي رتب المظهر. فاعلم ذلك، وإذ قد نبهتك على شأن النور الحقيقي وأنه يدرك به وهو لا يدرك.

[9 /4] فاعلم أن الظلمة لا تدرك ولا يدرك بها، وأن الضياء يدرك ويدرك به، ولكل واحد من الثلاثة شرف يختص به: فشرف النور الحقيقي هو من حيث الأولية والأصالة، إذ هو سبب انكشاف كل مستور. وشرف الظلمة هو أنه باتصال النور الحقيقي بها يتأتى إدراك النور ـ مع تعذر ذلك قبل الاتصال ـ وشرف الضياء هو من حيث الجمع بالذات بين الأمرين، واستلزام ذلك حيازة الشرفين.

[9 /5] وللنور الحقيقي ثلاث مراتب أخر: **إحداها** مشاركة للوجود المحض المطلق؛ **والأخرى** مشاركة للعلم الحقيقي المطلق أيضاً؛ **والثالثة** اختصاصه بالجمع الذي له الظهور والإظهار. وسأعرفك سر هذه الجمعية واختصاصها بالضياء ومحتده بحيث يعرف منه حقيقة عالم المثال أيضاً.

[9 /6] فأما وجه اتحاد العلم مع الوجود والنور فهو من جهة أن كلاً منها من شأنه كشف المستور؛ أما الكشف بالوجود فهو من جهة أن الوجود لما كان واحداً في الأصل وعرضت له التعددات المختلفة، علم أن ثم معدودات متفاوتة القبول، فصار الوجود من هذا الوجه سبباً لمعرفة الماهيات المعدومة، إذ لولاه لم يعلم إن ثمة ماهيات أصلاً؛ وأما العلم فيكشف الماهيات المعدومة قبل الكشف الوجودي، ويعرف بكيفية قبولها للوجود وتوابع ذلك من بقاء وفناء وبساطة وتركيب وغير ذلك من اللوازم؛ وأما كشف النور فهو متأخر عن الكشف الوجودي لكنه يشترك الوجود والعلم في معقولية الكشف. فافهم.

[9 /7] وإذا تقرر هذا فاعلم أيضاً أن كل واحد من الوجود والعلم

والنور لا يتميز بينهم في أن كل واحد من حيث وحدته وإطلاقه لا يدرك ولا يرى، بل تعدد بينهم في حضرة الأحدية الذاتية، ويتميز الوجود عن العلم بكون المعلومات تعدد العلم من حيث التعلقات في مرتبة التعقل لا غير ـ بخلاف الوجود ـ فإن الموجودات تعدده وتظهره للمدارك في المراتب التفصيلية.

[9/8] وأما الفرق بين النور الحقيقي ومسمى الوجود المحض فهو من جهة أن الوجود يظهر للمدارك بقابلية المعلومات المعدومة المتعينة في علم الحق، والنور المحض لا يمكن إدراكه إلا في مظهر موجود. فاعلم ذلك وتدبره تعرف الفرق بين الحقائق وهي الماهيات الأسماء الإلهية وبماذا يتيمز بعضها عن بعض؛ والفرق بين حكم الوجود وحكم العلم وحكم النور وشأن كل واحد منهم مع الآخر وشأن الثلاثة مع غيرهم من التوابع واللوازم والأسماء متفرعة عنهم. والله الهادي.

[9/9] ثم أقول: إن النور المحض المشار إليه لا يغاير وجود الحق، ولا شك أن الوجود المحض المتعقل في مقابلة العدم المضاد له، فإن للعدم الإضافي تعيناً في التعقل لا محالة وله الظلمة، كما أن الوجود له النورية ولهذا يوصف الممكن بالظلمة، فإنه يتنور بالوجود فيظهر في الوهم فقط؛ فظلمته من أحد وجهيه الذي يلي العدم، وكل نقص يلحق الممكن ويوصف به إنما ذلك من أحكام نسبة العدمية، وإليه الإشارة بقول النبي ﷺ: «**إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فظهر**»[1]، وخلق هاهنا بمعنى التقدير، فإن التقدير سابق على الإيجاد، ورش النور كناية عن إفاضة الوجود على الممكنات. فاعلم ذلك.

[9/10] وإذا تقرر هذا فأقول: فالعدم المتعقل في مقابلة الوجود لا تحقق له دون التعقل، والوجود المحض لا يمكن إدراكه؛ فمرتبة

(1) ورد بلفظ: «إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل» رواه الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول، [4/ 199].

العدم من حيث تعقل مقابلته للوجود كالمرآة له، والمتعين بين الطرفين هو حقيقة عالم المثال والضياء صفته الذاتي، ثم سرى هذا الحكم في كل متوسط بين شيئين؛ إنه إذا كانت نسبته إلى أحد الطرفين أقوى من نسبته إلى الطرف الآخر، أن يوصف بما يوصف به ذلك الطرف الغالب ويسمى باسمه.

[11/ 9] ألا ترى أنه لما كان عالم الأرواح وما فوقه من عوالم الأسماء والصفات موصوفاً بالنور والوجود الأبدي كانت صور عالم الكون والفساد موصوفة بالكدورة، والظلمة؟ لكونها في مقابلة عالم الأرواح الذي هو عالم النور، ولهذا لقبه شيخنا رضي الله عنه هذه الحكمة بالنورية، وإلا فهي حقيقة ضيائية لا نورية محضة. وأما المتوسط بين نشأة الإنسان العنصرية وبين الروحانية ومعناه: فهو عالم الخيال المقيد، والصورة الظاهرة فيه تكون بحسب نسبة ذي الخيال المقيد من الطرفين، فإن قويت نسبته إلى طرف الأرواح ما فوقها، كانت تخيلاته صحيحة حقية وجودية علمية نورانية، وإن قويت نسبته إلى عالم الحس لغلبة أحكام صورها المنحرفة الكائنة الفاسدة وأحوالها المختلفة البعيدة عن الاعتدال، كانت تخيلاته يقظةً ومناماً تخيلات فاسدة وآرائه واعتقاداته غير صائبة لخلوها عن النور العلمي وخاصية الوجود الأبدي، فسميت أضغاث أحلام.

[12/ 9] وأما إشارة شيخنا رضي الله عنه في هذا الفص اليوسفي إلى طرف من حال العالم وإيجاده ونسبته من جناب الحق؛ تعين على أن أذكر أصله؛ أعني أصل الإيجاد وموجبه: وإن كنت ألمعت بطرف منه منذ قريب، لكني أذكر الآن تتمة ولو على سبيل الإجمال.

[13/ 9] فأقول: اعلم أن الحق هو النور، والنور لا يمكن أن يرى في النور، فكمال رؤية النور موقوف على مقابلة الظلمة، فمتعلق حب الحق إيجاد العالم؛ إنما موجبه حب كمال رؤية الحق نفسه جملة من حيث هويته ووحدته وتفصيلاً من حيث ظهوره في شؤونه. ولما كان من البيّن أن

كل ما لا يحصل المطلوب إلا به فهو مطلوب، لزم تعلق الإرادة الإلهية بإيجاد العالم لتوقف حصول المطلوب الذي هو عبارة عن كمال الجلاء والاستجلاء عليه.

[14/ 9] ولما كانت الشؤون الإلهية ذاتية وكان الاستجلاء التام للذات لا يحصل إلا بالظهور في كل شأن منها بحسبه ورؤيته نفسه من حيث ذلك الشأن وبمقدار ما يقبله من إطلاقه وتعينه وخصوصية، فتوقف كمال رؤيته على ظهوره في جميع الشؤون؛ ولما كانت الشؤون مختلفة من حيث خصوصياتها وغير منحصرة، وجب دوام تنوعات ظهوراته سبحانه بحسبها لا إلى أمد ولا غاية، وهذا هو سر كون الحق خلاقاً على الدوام إلى أبد الآباد.

[15/ 9] لما كانت المراتب من وجه محصورة في الظهور والبطون والاعتدال والانحراف المعنويين ثم الروحانيين ثم المثاليين ثم الحسيين وكمال الجمع ونقصانه؛ اقتضى الأمر استمرار حكم الظهور والإظهار بالإيجاد، واستمرار وجود الانحراف والاعتدال والنقص والكمال للإكمال، بحسب المراتب والمواطن وخصوصياتها وخصوصيات القوابل، كالهيئات الاجتماعية والأحوال والتركيبات المتعقلة في الصور والأمزجة، والتضعيفات العددية الدائمة الحكم والمتناهية الآجال.

[16/ 9] ثم أرجع وأقول: اعلم أن مستوى النور من كونه يدرك ويدرك به هو المسمى بالضياء ومحتده عالم المثال ـ كما مر ـ وله، أي لعالم المثال مرتبة عامة من حيث هي تسمى عالم المثال المطلق وله مرتبة خاصة ذات تقيدات يختص بعالم خيال النوع الإنساني وكل متخيل، وبه نبهت في الفص الإسحاقي أن الناس في خيالاتهم المقيدة على قسمين، وذكرت من حال كل قسم ما يسر الله ذكره: وسأذكر هنا تتمات توضح المقصود إن شاء الله تعالى.

[17/ 9] فأقول: من جملة أحوال أحد القسمين هو أن كل من غلب

على خياله الصفات التقييدية وأحكام الانحرافات الخلقية والمزاجية، فإنه لا يدرك مشرع خياله ومحتده من عالم المثال ولا يتصل به عن علم وشهود؛ وإن كانت الوصلة غير منقطعة، ومن حصل له سير في خياله المقيد حتى انتهى إلى طرفه المتصل بعالم المثال المطلق بحيث يتأتى له التجاوز من خياله إلى عالم المثال، فإنه يدخله فيدرك فيه ما شاء الحق أن يريه منه، بل قد يخرج منه ـ كما بينا في الفص الإسحاقي ـ إلى عالم الأرواح ثم إلى فسيح حضرة العلم، فيستشرف على جملة من المغيبات والكوائن المقدر ظهورها في عالم الحس.

[9 /18] فالمعبر إذا سمع الرؤيا ممن رآها وسأله تعبيرها لعدم علمه بما رأى وما المراد من تلك الصور الممثلة له، وكان المعبر تام المعرفة بالتعبير وبمواطن الرؤيا، فإنه يشخص الرؤيا في خياله، فإذا شخصها أسراها إلى أن يدخله عالم المثال، فيرى نسبة تلك الرؤيا من عالم المثال ويستدل بتلك النسبة على الرؤيا وتتضمنه، بل قد يعديها إلى عالم الأرواح وما بعدها حتى يقع على الأمر الذي قصد إبداءه في تلك الصورة الممثلة بها فيخبر عن المراد، ويسمى ذلك الإخبار تعبيراً، وما وجد في الرؤيا من خلل يفضي بعدم المطابقة بين المعنى المقصود إبانته والتعريف به وبين الصورة الممثلة، علم أن ذلك من كدورة الباطن صاحب الرؤيا وانحراف مزاجه وفساد هيئة دماغه واختلال أحواله الحسية، كالكذب وسوء سيره والانهماك على أمر خسيس ينغمس به أوقاته وأحواله المحمودة بحيث يستهلك أحكام صفاته وأحواله المحمودة في ضمن ذلك الوصف الغالب، والأمر بالعكس إذا كان الحال بالعكس؛ وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «**أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً**»[1].

[9 /19] ثم نبه في حديث آخر على كليات أقسام الرؤيا وحكم

(1) أورده النووي في رياض الصالحين، باب الرؤيا وما يتعلق بها [1/ 218].

الاعتدال فيها والانحراف فقال ـ ﷺ ـ: الرؤيا ثلاث: **رؤيا من الله**[1]، وهي التي ظهور حكامها موقوف على تهيئة واستعداد معتدلين وصفاء محل وطهارة نفس ليتأتى لصاحبها تلقي ما يصل إليه من التعريفات الإلهية والاستجلاء الروحانية والمعنوية بواسطة الصور المثالية. ثم قال ﷺ: **رؤيا تخزين من الشيطان**[2]، وهي التي قلنا إنها نتيجة الانحرافات المزاجية والكدورات النفسانية وفساد الهيئة الدماغية ونحو ذلك مما سبق التنبيه عليه؛ ثم قال ﷺ: **ورؤيا مما حدث المرء به نفسه**[3]، وهذه من آثار الصفات الغالبة الحكم على نفس الرائي حال رؤيته مثل هذه الرؤيا، وأثر الحال القاهر أيضاً الذي يتلبس الرائي.

[9 /20] ثم اعلم: أن من أقوى الأسباب الموجبة اطلاع النائم على ما يراه، وهو توحد توجهه وجميع همه وميله إلى الإعراض عن جل أحكام الكثرة، وترجيحه: تعطيل تصرفاته المتنوعة طلباً للراحة لشعور نفساني من خلف حجاب الطبع، يقضي بأن الراحة منوطة بالإعراض اللازم لما ذكر، هذا ترجيحه، وإن لم يتحقق أصل هذه المسألة وعموم حكمها في سائر الأنواع الاطلاعات.

[9 /21] وأما مواد الصور التي يتمثل له من حيث هي ـ لا من حيث معانيها ـ فهي الأشياء المصاحبة له من عالم حسه ويقظته وآثار الأوصاف والأحوال الغالبة عليه حالتئذٍ، كما سبقت الإشارة إليه، فإن لهذه الأمور إندراجات بعضها مع بعض طبيعية وعقلية معنوية، ولتلك الامتزاجات بعضها مع بعض أحكام تسري في صورة التمثيل، فيظهر حسناً وقبحاً بحسب درجات الاعتدال والانحراف الطبيعي والمعنوي الخصيص

---

(1) رواه النسائي في السنن الكبرى، ما يفعل إذا رأى في منامه الشيء يعجبه، حديث رقم (10745) [6/ 226] ورواه البيهقي في شعب، حديث رقم (4760) [4/ 187].

(2) ـ (3) رواه البيهقي في شعب الإيمان، قال لم يبق بعدي من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة، حديث رقم (4760) [4/ 187] ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة، ما يفعل إذا رأى في منامه الشيء يعجبه، حديث رقم (909) [1/ 510].

بالصفات والأحوال والعلوم والاعتقادات، ولآخر أنفاس اليقظة التي يتلوه النوم سلطنة قوية بحسب ما كان الباطن به حالتئذٍ مغموراً، فإن لم يكن الباطن مغموراً بشيء وخلا بالكلية من الخواطر والتعلقات وخواص الأفعال والصفات القريبة العهد بالشخص كان ذلك سبباً معيناً في مزيد الاطلاع وصحة ارتسام ما اطلع عليه النائم في نفسه.

[9 /22] وأما تأخر ظهور حكم المنامات: فإنه دليل على علو مرتبة النفس لكونها أدركت ما سيكون في العوالم العالية جداً، القريبة من حضرة العلم وعالم المعاني المجردة، فلا بد من فترة واقعة بين زمان الاطلاع وزمان ظهور حكم ما وقع الاطلاع عليه في الحس بمقدار ما يقتضي مكث ذلك الأمر في كل سماء إلى أن ينصبغ بحكمه ويأخذ حصته من ذلك الفلك وما فيه، ثم يمر متنازلاً إلى الفلك الذي هو دونه، وهكذا إلى آخر فلك طلباً للاستتمام ومستصحباً قوى ما يمر عليه، فإن لكل كائنة وأمر يظهر في هذا العالم من حال انفصاله المعنوي من مقام القلم الأعلى واللوح المحفوظ واتصاله بالعرش ثم الكرسي وفي كل سماء، منزلاً ومقاماً، وذلك لما مر بيانه.

[9 /23] وقد ورد في الحديث: إن الأمر الإلهي يبقى في الجو بعد مفارقته سماء الدنيا ثلاث سنين حتى يصل إلى الأرض ويتصل بالمحل المختص به. وهذا من المكاشفات المجربة والمتفق عليها.

[9 /24] وسرعة ظهور حكم الرؤيا وما عبرت به دليل على ضعف نفس الرائي ـ وإن صفت ـ فإنها لم تفق على الترقي والعروج لتدرك صور الأمور والكوائن المقدر وقوعها في العوالم العالية، بل كان غاية عروجها ـ حال إعراضها عن التعلقات البدنية والشواغل الكونية ـ الجو الذي بين الأرض وبين الفلك الأول، فأدركت بذلك القدر من الصفاء الذي استفاد به بعض الكوائن في أثناء الجو، فلم يتأخر ظهوره. وهذا حال أهل البداية من السالكين، وقد جربنا ذلك كثيراً في أصحابنا وأصحاب غيرنا من الشيوخ،

وكذلك في أنفسنا زمان البداية.

[25/ 9] ورأيت من الشيخ الإمام العارف المحقق سعد الملّة والدين محمد المؤيد الحموي قدس الله نفسه الزكية إن كان يرى الكوائن في عالم المثال المطلق ويعلم حالتئذٍ أن المرئي صورة معلومة ذلك الشيء المتعين في علم الحق أزلاً مثلت له وأنه لأبدى ظهور ذلك الشيء في الحس بصورة ما رآه هناك ـ دون تغير ولا تبديل ـ.

[26/ 9] ورأيت غير واحد ممن له هذه الرؤية غير أن أكثرهم لم يكن له علم بأن الذي رآه عبارة عن عين ثابتة من جملة المعلومات المتعينة في علم الحق أزلاً وأبداً على وتيرة واحدة مثلت له صورتها في عالم المثال المطلق وأنه سيدخل هذا العالم الحسي بتلك الصورة.

[27/ 9] وأما ما شاهدته وذقته وجربته من ذوق شيخنا رضي الله عنه وأرضاه فأعظم وأعلى من أن يتسلق الفهوم إليه أو يستشرف العقول عليه فإنه كان يستجلي المعلومات الإلهية في حضرة العلم ويخبر عن كيفية تبعية العلم للمعلوم وكون العلم لا أثر له في المعلوم، بل المعلوم يعين تعلق علم العالم به ويعطيه ذلك من ذاته، فإن كان علم العالم علماً ذاتياً أزلياً: كان العطاء من المعلوم عطاءً ذاتياً أزلياً، لأن تعين المعلوم في العلم الإلهي الأزلي تعين أزلي أبدي على وتيرة واحدة؛ وإن كان علم العالم علماً انفعالياً حادثاً: كان تعلقه بالمعلوم تعلقاً حادثاً إنفعالياً مثله هذا، مع تبعية العلم من حيث تعلقه للمعلوم على كل حال، وكان يشهد الاستعدادات التي للناس جزئياتها وكلياتها ويشهد نتائجها وما يستمر كل استعداد منها إلى منتهى أمر كل إنسان في مرتبة شقائه وسعادته، وكان أخباره عنه تابعاً لنظرة مخصوصة ينظر بها إلى الشخص، أي شخص أراد الاستشراف على كنه حاله وما يستقبله إلى حين مستقره في مآله في مرتبة نقصه أو كماله ثم يخبر ولا يخطىء.

[28/ 9] شاهدت ذلك منه في غير واحد وفي غير قضية من الأمور

الإلهية والكونية، واطلعت بعد فضل الله وببركته على سر القدر ومحتد الحكم الإلهي على أشياء، وبشرني بالإصابة في الحكم بعد ذلك في ما أحكم به بسبب هذا الاطلاع ونيل ما يتعلق الإرادة بوقوعه بموجب هذا الكشف الأعلى، فلم ينخرم الأمر عليّ ولم ينفسخ. والحمد لله المنعم المفضل.

(10)

فك ختم الفص الهودي

[10 /1] اعلم أن **للوحدة ثلاث مراتب**، لكل مرتبة اعتبار: فالاعتبار المختص بالمرتبة الأولى هو اعتبار الوحدة من حيث هي هي، هذا الوجه لا تغاير الأحدية، بل هي عينها لا من الوجهين الآخرين، وليست من هذا الوجه نعتاً للواحد بل هي ذاته، فمتى ذكرت الأحدية الذاتية وكان المترجم عنها الحق أو واحد من أكابر المحققين الراسخين في العلم فإنه إنما يطلقها بهذا الاعتبار الذي ذكرناه، ولكل شيء أحدية تخصه وهي اعتباره من حيث عدم مغايرة كل شأن من الشؤون الذاتية للذات المعنونة بالأحدية بالتفسير المشار إليه.

[10 /2] والاعتبار المختص بالمرتبة الثانية هو **اعتبار الوحدة من كونها نعتاً للواحد** وتسمى بوحدة النسب بأحدية الصفات والإضافات، وينضاف إلى الحق من حيث الاسم الله الذي هو محتد الأسماء والصفات ومشرع الوحدة والكثرة المعلومتين للجمهور.

[10 /3] والاعتبار المختص بالمرتبة الثالثة هو **اعتبار الوحدة من حيث لا يلحقها من الأحكام** التي هي على نوعين: **نوع متعقل** فيها لكن ظهوره موقوف على شرط أو شروط، مع أن تلك الوحدة بالذات مشتملة عليها بالقوة. **والنوع الثاني** من النعوت والأحكام ليست الوحدة بالذات مشتملة عليها، وإنما يلحق وينضاف إليها من أمور خارجة عن معقولية صرافة وحدتها؛ كقولنا: الواحد نصف الاثنين وثلث الثلاثة وأنه مبدأ لما يتعقل من معنى التعدد النسبي أو الوجودي.

[10 /4] وهذه الوحدة التي تضادها الكثرة وتختص بمرتبة الأفعال

لوحدة الفعل والفاعل وكثرة المحال التي بها تظهر الكثرة، فإنها الخصيصة بهذا الفص الهودي وهو ذوق هود المذكور في قصته عليه السلام؛ فإنه ذكر الأخذ بالنواصي والمشي والصراط، وكل هذه أحكام التصرف والتصريف وأنه الفعل لا محالة، غير أنه غلب في أخباره وحدة الفعل على التعددات العارضة له في المحال المتأثرة والمعددة إياه، والسر فيه هو من أجل عدم اعتبار الوسائط والأسباب المشار إليها بقوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ [هود: 56] فأضاف الأخذ إلى الهوية التي هي عين الذات، حتى أنه لم يذكر يداً ولا صفة ولا غير ذلك.

[10 /5] وهو مشهد المتوسطين من المحققين، فإن مقتضى ذوقهم أن الأسباب والوسائط معدات لا مؤثرات، وأن الفعل في أصله واحد وأنه أثر الحق لا أثر فيه لسواه من حيث ذات الفعل من كونه فعلاً، لكن يكتسب ذلك الفعل الوحداني فعل المتعددات من المحال المتأثرة ويتبع ذلك التعدد كيفيات نافعة للمكتسب العدد وكيفيات مضرة له عاجلاً وآجلاً، مؤجل وغير مؤجل، وذلك النفع والضر تارة يعودان على الإنسان من حيث روحه وتارة يعودان عليه من حيث صورته ونشأته، وتارة يعودان على المجموع.

[10 /6] وثم صنف أعلى وأكشف من هذا الصنف ومقتضى ذوقهم: أن الفعل الوحداني وإن كان إلهياً ومطلقاً في الأصل لا وصف له غير أن تعينه بالتأثير، والتأثير التكليفي إنما يكون بحسب المراتب التي يحصل فيها اجتماع جملة من أحكام الوجوب والإمكان في قابل لها وجامع، فإن ظهرت الغلبة لأحكام الوجوب على أحكام الإمكان وصف الفعل بعد تقيده وقبوله التعدد طاعة وفعلاً مرضياً حميداً، وإن كانت الغلبة لأحكام الإمكان وتضاعف الخواص الوسائط كان الأمر بالعكس؛ بمعنى أن الفعل يسمى من حيث تقيده على ذلك الوجه وتكيفه بتلك الكيفيات معصية وفعلاً قبيحاً غير مرضي ونحو ذلك.

[10 /7] والحسن والقبح راجعان إلى ما يناسب مرتبة الشرع والعقل

وإلى الملائمة من حيث الطبع والغرض، ولسان الشرع معرب إما عن بعض المحاسن الخافية عن العقول عاجلاً ـ وكذلك عن القبائح ـ أو معرب عما يعود من ذلك الفعل من حيث الثمرات على الثمرات وعلى المعين والمكيف إياه بذلك الوصف، وكل ذلك بحسب ما يعلمه الشارع من سر ذلك التكيف والتعدد المخصوص بالنسبة إلى عموم الفاعلين أو بالنسبة إلى الأكثرين منهم، وبيان كيفية التدارك والتلافي لذلك الضرر المودع في الفعل غير المرضي أو تتمته، وذلك النفع في المودع المسمى فعلاً مرضياً وتثبته.

[8/ 10] وثم صنف أعلى ومن مقتضى ذوقهم وشهودهم معرفة أن كل سبب وشرط ووسائط ليس غير تعين من تعينات الحق وأنه فعله سبحانه الوحداني يعود إليه من حيثية كل تعين بحسب الأمر المقتضى للتعين كان ما كان، وأن المضاف إليه ذلك الفعل ظاهراً يتصل به حكم الفعل وثمرته بحسب شهوده ومعرفته ونسبته إلى الفعل الأصلي وأحدية التصرف والمتصرف وانصباغ أفعاله بحكم الوجوب وسر سبق العلم وموجبه ومقتضاه وبضعف ذلك أو عدمه.

[9/ 10] ومن لم يذق هذا المشهد ولم يطلع عليه لم يعرف سر قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17] ولا سر قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: 10] ولا سر قوله ﷺ: إن الله قال على لسان عبده: «**سمع الله لمن حمده**»(1)؛ ولا سر قوله تعالى: «**كنت سمعه وبصره ويده ورجله، فبي يسمع وبي يبصر وبي يسعى وبي يبطش**»(2)، ولا سر قوله الذي هو دون ذلك كله: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: 14] ولا يعرف من أي وجه يصح نسبة الأفعال إلى الحق من حيث أصالتها ومن حيث أحدية جمعها، ومن أي

(1) أورده علي برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية، [1/ 411] وأورده علي القاري في الرد على القائلين بوحدة الوجود، [1/ 106].

(2) أورده الحطيم الترمذي في نوادر الأصول، في بيان عدد الأبدال وصفاتهم، [1/ 265].

وجه أيضاً يصح نسبتها إلى الحق وإن تعددت وتكثرت.

[10/ 10] ولا يعرف أيضاً هل مقام التمحض المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: 10] أعلى أو مقام التشكيك المنبه عليه بقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17] ولا يعرف مرتبة الحسن والقبح الحقيقي والنسبي، ولا يعرف نتائج الأفعال والثمرات في الدنيا والبرزخ والحشر والنار والجنة ولوازمها من الأسرار؛ فتنبه ترشد.

[11/ 10] فهذا روح هذا الفص والخفي من شأنه، وما سوى ذلك فقد نبه شيخنا رضي الله عنه على ما قدر له ذكره منه وما أمر بتسطيره ـ كما أشار إليه ـ والله المرشد.

(11)

فك ختم الفص الصالحي

[11 /1] واعلم أن شيخنا رضي الله عنه بسط في هذا الفص الكلام في التثليث وتوقف الإيجاد عليه، وأما في الجزء المتضمن التنبيه على بعض كليات أصل كل فص فإنه لم يزد عند الترجمة عن أصل هذا الفص على الكلام على سر الإيجاد وتوقيفه على التثليث، وأنا أوضح لك الحكمة في ذلك ـ وإن لم يكن سألت الشيخ رضي الله عنه ولا فاوضته فيه ولا استشرحت عليه هذا الكتاب ولا غيره من تصانيفه ـ وإن كان معظم ما فتح الله على من بركاته من ومنزلاته من فيض الحق المار على مرتبته ومشكاته.

[11 /2] فأقول: لما ترجم رضي الله عنه هذا الفص بالحكمة الفتوحية، كذلك نبه على سر الإيجاد الذي هو أول الفتح الظاهر؛ وأما سر قوله: فتوحيه، ولم يقل فاتحية: إن الفتوح على أنواع عددها عدد مفاتيح الغيب، فراعى في ذلك الأدب الإلهي قصد الموافقة للحق في التنبيه على البدء الإيجادي من الغيب الذاتي والوجود المطلق الإحاطي؛ وقد ذكرت من أمهات مفاتيح الغيب جملة في تفسير الفاتحة وأجبت عن سؤال القاصري الإدراك والفهم، الذين فهموا من قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59] انفراده سبحانه بعلمها دون الكمل، وبينت من أي وجه يتعذر فهمها ومن أي وجه تحصل، وسأذكر في كشف هذا الفص جملة أخرى من مفاتيح الغيب وأنبه على ما يختص منها بالغيب الإضافي النسبي وما يختص بالغيب الحقيقي والعلم الذاتي الإلهي، وأنبه على الحكمة التي كانت سبباً في اختيار شيخنا رضي الله عنه

ذكر الفتوح في هذا الفص الصالحي، ولنبدأ بذكر أنواع الفتوحات الإلهية بعون الله ومشيئته.

[3/ 11] فنقول: **أول مفاتيح الغيب الجمع** الأحدي الذي هو البرزخ الجامع بين الأحكام الوجوب والإمكان، فإن الوحدة الذاتية والتجلي الوجودي الإطلاقي لا يضاف إليهما اعتبار من الاعتبارات الثبوتية والسلبية ـ كالاقتضاء الإيجادي أو نفيه ـ ولا الأثر الوحداني أيضاً ولا التعدد وكيف ذلك؟ والتحقيق أفاد أن تأثير كل مؤثر في كل متأثر موقوف على الارتباط، ولا ارتباط بين شيئين أو الأشياء إلا بمناسبة أو أمر مشترك بينهما، ولا ارتباط بين الأحدية الذاتية من حيث تجردها عن الاعتبارات وبين شيء أصلاً ـ كما سبق التنبيه عليه في فك ختم الفص الهودي قبل هذا ـ.

[4/ 11] فوضح أن مبدئية الحق ونسبة صدور شيء أو أشياء عنه إنما يصح من حيث الواحدية، فإنه الواحد والواحدية تلي الأحدية وهي مشرع الصفات والأسماء التي لها الكثرة النسبية، وإنها من حيث الحق الوحد حيثيات أو اعتبارات كيف قلت، تقتضي تعديد الفيض والأثر الوحداني الذاتي الإلهي وإظهار تعيناته الكامنة بواسطة المعلومات المتعددة لذاتها، المرتسمة في عرصة العلم الذاتي، وهذه الحيثيات المشار إليها هي أحكام الوجوب.

[5/ 11] ولما كان في مقابلة كل تأثير قابل له متأثر سمي تلك القابليات بأحكام الإمكان، ولما كانت هذه الاعتبارات والصفات الإضافية متفاوتة المراتب كالشهيد والرقيب والحسيب، فإنها من لوازم العليم وتوابع له، وكذلك الاسم الخالق والبارىء والمصور والقابض والباسط والفالق والفاطر من توابع الاسم القدير ولوازمه، لزم بيان الأمهات منها التي لها الأولية ليتضح تبعية ما سواها لها.

[6/ 11] وإذا تقرر هذا فاعلم: إن **أول المفاتيح الغيبية** بعد الجمع الأحدي المنبه عليه، الأسماء الذاتية التي لا يعلمها إلا الكمل وهي من

أعظم أسرار الحق المحرَّم إفشائها، وأمهات الأسماء الألوهية ـ التي هي العلم والحياة والإرادة والقدرة ـ كالظلالات والسدنة للأسماء الذاتية، ولها، أعني الأسماء الذاتية الغيب الحقيقي، وهي السارية بالذات والحكم في المفاتيح التي قلت إنها تختص بالغيب الإضافي، وهي التي كنى الحق عنها بالفطر والفتق والفلق والزرع والخلق والجعل والإخراج.

[7/ 11] **فالفطر والفتق مفتاحان لتميز المواد الجامعة بذاتها بين اللطائف والكثائف** والصلبة والرخوة، أحدهما لتكثير الواحد والآخر لتفصيل المجمل.

[8/ 11] **والزرع والفلق مفتاحان للإظهار والتوليد والتكوين**، أحدهما لتهيئة المادة لقبول التصريف والآخر لتكميل التصريف بإخراج ما في القوة إلى الفعل.

[9/ 11] **والخلق مفتاح مختص بالصور والأجسام** من حيث الجمع والتركيب والتعيين.

[10/ 11] **وأما الإخراج** فعلى ضربين: إخراج منه كالمطر من السحاب والمعادن من جوف الأرض والجبل والمياه؛ وإخراج كالمطر يخرج به النبات من الأرض، وكل هذا مفاتيح.

[11/ 11] وأما الجعل فإنه مفتاح إيجاد الصفات اللازمة للمخلوقات والخصيص بالحق؛ من ذلك، أعني من مفاتيح الغيب شهود كيفية الفتح وإدراكه الذاتي بالسراية المكنى عنه بالمعية، كما قال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14] فإنه اللطيف لسريانه فيما خلق وصحبته كل شيء ممازجة ولا حلولًا، الخبير بكيفية السريان وحكمه بالسريان المُظهر سر الخبرة التي هي آخر ظهورات حكم العلم وأكمل درجاته، فلذلك قلت الخصيص بالحق في إدراك كيفية الفتح بالذات والانفراد بمشاهدة الفتح الأول من المفاتيح الأول التي سبق التنبيه عليها، فإن ذلك هو سر تعلق القدرة بالمقدور.

[12/ 11] وأما مفتاح الإيجاد الأمري الذي نتيجته وجود الأرواح فهو القول، فإنه نتيجة اجتماع بعض الحروف الربانية وقد ذكرنا في فك ختم الفص العيسوي، وذكرنا أيضاً مراتب جميع الحروف الربانية وأسرارها في تفسير الفاتحة فليكشف من هناك، فإن إعادة ذكرها يفضي إلى مزيد بسط لا يليق بهذا المختصر.

[13/ 11] وأما سر إيجاد عالم المعاني: فإنه نتيجة التوجه الأول الذاتي من حيث روح الجمع الأحدي، فافهم. ثم اعلم أن لأحكام الأسماء التي ذكرنا أنها الخصيصة بالغيب الإضافي امتزاجات معنوية وتداخلاً من بعضها في البعض، وإنما ترتيب الإضافة على النحو المذكور مراعاة الأغلب والأظهر، حكماً في الشيء الموجود؛ كما يقول: الفلفل حار يابس والقرع بارد رطب، مع أن كلا منهما لا يخلو عن الطبائع والكيفيات الأربع. فاعلم ذلك وتدبر ما سمعت، فقد ذكرت لك أنواع المفاتيح وأجناسها وما فتح بكل منها، ودسست للبيب في ذلك أسراراً خفية لم توجد في الكتب ولا تتسلق إليها المدارك والفهوم. والله المرشد.

[14/ 11] وأما باب وجه المناسبة بين الفتوح وبين صالح عليه السلام: فمن أجل آيتها التي بعث بها، أعني الناقة التي انفلق الجبل عنها، وأضافها الحق إليه سبحانه كما أضاف إيجاد آدم إليه من حيث المباشرة ومن حيث نفخ الروح فيه أيضاً، وأفرد الإضافة إلى نفسه فقال: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [صٓ: 71، 72] ولم يذكر مثل هذا في حق غيره، وراعى سبحانه حكم هذا الإفراد في توبيخه لإبليس بقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [صٓ: 75] واستعمل في حق غيره عند الإخبار عن صورة الإيجاد بضمير الجمع اعتباراً للوسائط والأسباب، فقال تعالى في موضع: ﴿فَنَفَخۡنَا﴾ [الأنبياء: 91] وقال في موضع: ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾ [يٓس: 71] ونحو ذلك بما ورد التعريف به في الكتاب والسُنَّة في غير ما موضع.

[11 /15] فالحيوانات على اختلاف أنواعها وإن كان مبدأ تكوينها من التعفين الحاصل من الجمادات، غير أن لآدم والناقة وما يشبههما ـ ولو من بعض الوجوه ـ مزيد اختصاص لا يطلع عليه إلا الأكابر من أهل الله.

[11 /16] ثم اعلم: أن آدم وحواء عليهما السلام مفتاحا باب التوالد والتناسل الإنساني، فإنه لم يكن قبلهما توالد وهما مخلوقان من الجمادات المخبر عنها بالتراب تارة وبالطين تارة وبالحمأ المسنون تارة وبالصلصال كالفخار تارة. ولما أخبر الحق من مبدأ شأنهما قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 189].

[11 /17] وورد أن مرادهما كان أن يرزقا ولداً ذكراً صالحاً من حيث الصفة، فاستزلهما الشيطان وقال: إن اشترطتما أن يسمى الولد عبد الحارث فإني ألتزم أن يكون ذكراً، فأذعنا له، فلما ولد المولود وهو شيث عليه السلام ظنا أن أبليس كان له في ذلك الأمر مدخل، فذكر الحق ذلك بلسان العتب عليهما عقيب الآية التي ذكرناها، ثم بعث الله فيما بعد من ذريته من جعل اسمه وسماه صالحاً بالذات والصفة وجعل الله لقومه الناقة التي خلقها اللّه من الجماد ـ كما خلق آدم ـ وأضافها إليه وأمرهم باحترامها كما أمر الملائكة بالسجود لآدم، فمن آمن بصالح عليه السلام فبالصفة الملكية المقتضية للسجود وامتثال الأمر الإلهي.

[11 /18] وأما عاقروا الناقة: فمظاهر إبليس الذي أبى واستكبر وكان من الكافرين، لا جرم استحقوا العذاب ـ كما استحق إبليس اللعنة إلى يوم الدين ـ ولولا خوف التطويل لذكرت سر اختصاص موسى عليه السلام بالخطاب من الشجرة وبغير ذلك مما يستبشر إلى طرف من ذلك وغيره في الفص المحمدي إن شاء الله تعالى، واختصاص نوح عليه السلام بالماء والخليل عليه السلام بالنار واختصاص هود بالريح

العقيم، وبينت أن كل واحد من العناصر الأربع والمولدات الثلاث التي هي المعدن والنبات والحيوان، إنما يستند إلى الحق من حيثية اسم خاص، وأن كل نبي مما ذكرنا صدرت رسالته من حضرة الاسم الذي يستند إليه آيته، وسنذكر ما يسر الله ذكره من أسرار الأنبياء سلام الله عليهم وآياتهم في الفص المحمدي ﷺ.

(12)

فك ختم الفص الشعيبي

[12 /1] اعلم أن في إقران شيخنا رضي الله عنه الحكمة القلبية بالكلمة الشعيبية سرين عظيمين، راعى في أحدهما المفهوم من لفظ الاسم وهو الشعيب، فإن شعيباً كان من العرب واسمه اسم عربي، كذا ورد في النقل: أن هوداً وصالحاً وشعيباً ويونس ولوطاً كانوا من العرب. وعلى الجملة لما كان القلب منبع الشعب المنبثة في أقطار بدن الإنسان، بل في سائر الحيوانات التامة الخلقة، وهو أول ما يتكون من الإنسان والحيوان، ناسب ذكر الإِقران المذكور، هذا مع أن ثم موجبات أخر استدعت إقران الحكمة القلبية بالكلمة الشعيبية، وسألوح ببعض أسرارها فيما بعد بمشيئة الله وعونه.

[12 /2] ولما كان القلب منبع التشعب كما ذكرت، لذلك تنبعث منه الحيوة الحيوانية وتسري في جميع أقطار الصورة فيتصل به ومنه إلى الأعضاء كلها المدد الذي به بقاء الصورة، كما هو الأمر في صورة الإنسان والحيوانات التامة الخلقة، فكذلك هو الأمر في مطلق صورة العالم علواً وسفلاً، وهذا أصل كبير ثابت شرعاً وكشفاً وعقلاً، وقد نبه النبي ﷺ على ذلك غير مرة بالسُنَّة مختلفة من جملتها قوله ﷺ: إن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب.

[12 /3] وأما في **مطلق صورة العالم**: فقلب العالم العلوي الظاهر الشمس، فإن محلها قلب الأفلاك ومنها ينتشر المدد النوري ويتصل بالكواكب كلها، هذا وإن خالف بعضهم في ذلك من بعض الوجوه فخلافه لا يقدح في ما ذكرنا.

[4/ 12] وأما **قلب جملة الصور الوجودية: فالإنسان الكامل الحقيقي** برزخ بين الوجوب والإمكان، والمرآة الجامعة للذات والمرتبة من صفات القدم وأحكامه، وكذلك الحدثان، ولهذا جعل محل خلافته الأرض التي هي مركز الدائرة الوجودية، ولمقامها المعنوي المحجوب الآن بصورتها، رتبة المبدائية في انبعاث النفس الرحماني لتكوين النشأة الكلية الوجودية، فناسب من هذا الوجه الإنسان الحقيقي النازل فيها بالخلافة، لأنه الأول بالرتبة والمنزلة وإن كان آخراً بالصورة، فهو الواسطة بين الحق والخلق وبه ومن مرتبته يصل فيض الحق والمدد الذي هو سبب بقاء ما سوى الله إلى العالم كله علواً وسفلاً، ولولاه من حيث برزخيته التي لا تغاير الطرفين، لم يقبل شيء من العالم المدد الإلهي الوحداني لعدم المناسبة والارتباط ولم يصل إليه، وكان يعني أنه [الإنسان الكامل][1] عمد السموات.

[5/ 12] ولهذا السر برحلته من مركز الأرض التي هي صورة حضرة الجمع وأحديته ومنزل خلافته الإلهية إلى الكرسي الكريم والعرش المجيد المحيطين بالسموات والأرض ينخرم نظامها، فيبدل الأرض والسموات؛

(1) قال الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن عربي الحاتمي قدّس سره: واعلم أنه لما كان الإنسان الكامل عمد السماء الذي يمسك اللّه بوجوده السماء أن تقع على الأرض فإذا زال الإنسان الكامل وانتقل إلى البرزخ هوت السماء وهو قوله تعالى ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: 16] أي ساقطة إلى الأرض، والسماء جسم شفاف صلب فإذا هوت السماء حلل جسمها حر النار فعادت دخاناً أحمر كالدهان السائل مثل شعلة نار كما كانت أول مرة وزال ضوء الشمس فطمست النجوم فلم يبق لها نور إلا أن سباحتها لا تزول في النار لا بل انتثرت فهي على غيرالنظام الذي كان سيرها في الدنيا فتعطي من الأحكام في أهل النار على قدر ما أوحى فيها اللّه تعالى لأن الأخرى تجديد نشأة أخرى في الكل لا يعرفها العقل الأول ولا اللوح المحفوظ ولذلك قال ﷺ إنه يحمد اللّه يوم القيامة في المقام المحمود بمحامد لا يعلمها الآن يعلمه اللّه إياها في ذلك اليوم بحسب ما يظهر في ذلك من حكم الأسماء الإلهية لا يعلمها أحد اليوم فنشأة الخلق وأحوالهم وما يكون منهم في القيامة والدارين على غير نشأة الدنيا وإن أشبهتها في الصورة ولذلك قال ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أنها كانت على غير مثال، كذلك ينشئكم فيما لا تعلمون يوم القيامة (الفتوحات المكية ـ (ج 5 م ص 481)).

ولهذا نبه أيضاً ﷺ على ما ذكرنا بقوله: «**لا تقوم الساعة وفي الأرض من يقول: الله، الله**»[1]. وأكده بالتكرير يريد: وفي الأرض من يقول الله قولاً حقيقياً، إذ لو أراد من يقول كلمة «الله» لم يؤكد بالتكرار؛ ولا شك أنه لا يذكر الله ذكراً حقيقياً وخصوصاً بهذا الاسم الجامع الأعظم المنعوت بجميع الأسماء، إلا الذين يعرفون الحق المعرفة التامة، وأتم الخلق معرفة بالله في كل عصر خليفة الله، وهو كامل ذلك العصر، فكأنه يقول: لا تقوم الساعة وفي الأرض إنسان كامل وهو المشار إليه بأنه العمد المعنوي الماسك، وإن شئت فقل الممسوك لأجله. فإذا انتقل انشقت السماء وكورت الشمس وانكدرت النجوم وانتثرت، وسيرت الجبال وزلزلت الأرض وجاءت القيامة، ولولا ثبوته من حيث مظهريته في الجنة التي محلها الكرسي والعرش المجيد لكان الحال فيهما كالحال في الأرض والسموات.

[6/ 12] وإنما قيدت ثبوته من حيث مظهريته من أجل ما أطلعني الله عليه من أن الجنة لا تسع إنساناً كاملاً، وإنما يكون منه في الجنة ما يناسب الجنة وفي كل عالم ما يناسب ذلك العالم وما يستدعيه ذلك العالم من الحق من حيث ما في ذلك العالم من الإنسان.

[7/ 12] بل أقول: ولو خلت جهنم منه لم تبق، وبه امتلأت وإليه الإشارة بقدم الجبار المذكور في الحديث عند قوله ﷺ: «**إن جهنم لا تزال تقول: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [قٓ: 35] حتى يضع الجبار فيها قدمه، فإذا وضع الجبار فيها قدمه ينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط**»، أي: حسبي حسبي.

[8/ 12] وأخبرت من جانب الحق أن القدم الموضوع في جهنم هو الباقي في هذا العالم من صور الكمل مما لم يصحبهم في النشأة الجنانية، وكني عن ذلك الباقي بالقدم؛ لمناسبة شريفة لطيفة، فإن القدم من الإنسان آخر أعضاء صورته، فكذلك نفس صورته العنصرية آخر أعضاء مطلق

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء ضمن حديث رقم (1267) [1/ 476].

الصورة الإنسانية، لأن صورة العالم بأجمعها كالأعضاء لمطلق صورته الحقيقية الإنسانية وهذه النشأة آخر صورة ظهرت بها الحقيقة الإنسانية وبها قامت الصور كلها التي قلت إنها كالأعضاء.

[9/ 12] ثم اعلم: أن للقلب خمس مراتب: مرتبة معنوية ومرتبة روحانية ومرتبة مثالية ومرتبة حسية ومرتبة جامعة؛ ولكل مرتبة من هذه الخمس مظهر هو منبع أحكام تلك المرتبة ومحتد التشعب المتفرع منها، ولكل قلب أيضاً خمسة أوجه: وجه يواجه حضرة الحق ولا واسطة بينه وبين الحق؛ ووجه يقابل به عالم الأرواح ومن جهته يأخذ من ربه ما يقتضيه استعداده بواسطة الأرواح؛ ووجه يختص بعالم المثال ويحتظى منه بمقدار نسبته من مقام الجمع وبحسب اعتدال مزاجه وأخلاقه وانتظام أحواله في تصرفاته وتصوراته وحضوره ومعرفته؛ ووجه يلي عالم الشهادة ويختص بالاسم الظاهر والآخر؛ ووجه جامع يختص بأحدية الجمع، وهي التي تليها مرتبة الهوية المعنوية بالأولية والآخرية والبطون والظهور والجمع بين هذه النعوت الأربعة.

[10/ 12] ولكل وجه مظهر من الأناسي والخصيص لشعيب عليه السلام من هذه الوجوه: **الوجه المثالي،** وأنه من وجه في مقامه هذا شبيه بالروح الحيواني المخزون في تجويف الأيسر من القلب الصنوبري، فإنه برزخ بين الروح الإنسان وبين المزاج، لأنه من حيث إنه قوة بسيطة معقولة يناسب الروح ويرتبط به، ومن حيث اشتماله بالذات على القوى المختلفة المنبثة في أقطار البدن والمتصرف فيه بالتصرفات المختلفة المتكثرة؛ يناسب المزاج المركب من الأجزاء والطبائع المختلفة؛ فلذلك تأتي الارتباط وتيسر المدد، إذ لو لم يكن ارتباط الروح البسيط بالمزاج المركب؛ وهذا من لطائف الحكم الإلهية المقتضية الجمع بين الأضداد في أمر جامع لها بأمثال هذه المناسبات التي يتوقف عليها الارتباط والتأثير التدبيري.

[12 /11] وإذا عرفت هذا فاعلم أنه لما كانت التصورات المثالية من الثمرة للصور الحسية الظاهرة؛ كانت تربية موسى عليه السلام أولاً على يد شعيب عليه السلام، ولذلك كان الغالب على حال موسى عليه السلام وآياته أحكام الاسم الظاهر. ولما شاء الحق تكميله ـ لكونه اصطنعه لنفسه ـ لذلك أرسله إلى الخضر عليه السلام الذي هو مظهر الاسم الباطن وصورة الوجه القلبي الذي يلي الحق، دون واسطة المنبه عليه من القصة بـ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ و﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [الكهف: 81، 82] وبقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65] فافهم.

[12 /12] وكل هذه أحوال الباطن، بخلاف الاعتراضات الموسوية، فإن مستندها الأوامر الظاهرة، وكذلك الحسن والقبح اللازمان لها والذي هو صورة القلب الجمع والوجود كنبينا ﷺ، فإن مقامه نقطة وسط الدائرة الوجودية بوجوه قلبه الخمسة تواجه كل عالم وحضرة مرتبة، ويضبط أحكام الجميع ويظهر بأوصافها كلها بوجهه الجامع المنبه عليه آنفاً.

[12 /13] إذا عرفت ما نبهتك عليه من النسبة الشعيبية القلبية عرفت لما كان آيته في رسالته الوفاء بالكيل والميزان، فإن المدد المنتشر من القلب في أقطار البدن إنما ينتفع به البدن إذا أخذ كل عضو منه ما يحتاج إليه من غير زيادة ولا نقصان، وكذلك الغذاء، والكيل نظيره توزيع الغذاء، والميزان نظيره المدد النفساني.

[12 /14] وإذا فهمت ما أشرت إليه تعديت منه معتبراً ذلك ومستقرباً له في صورة العالم، وحينئذٍ تفهم مراد النبي ﷺ من قوله: «**بالعدل قامت السموات والأرض**»[1]؛ وقوله أيضاً في وصف الحق: «**بيده الميزان يخفض القسط ويرفعه**»[2]. وتعرف أيضاً أنَّ ـ نور الله فهمك ـ معنى قوله

(1) أورده الآلوسي في روح المعاني، سورة الرحمن. [27/ 101].

(2) رواه ابن فورك في مشكل الحديث، ذكر خبر آخر مما يقتضي التأويل ويوهم ظاهره التشبيه، [1/ 212].

تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: 41] وسر قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ [فصلت: 12] فتنبه ترشد واقنع. فلسان هذا المقام طلق ذو بسط عظيم لا تحمل هذا المختصر تفصيله، والله الهادي.

[12 /15] وأما سر الآخر من السرين فتختص بسعة القلب ونسبه من الرحمة التي وسعت كل شيء وتشعبت مائة شعبة ـ كما أخبر النبي ﷺ بذلك عنها ـ وسأشير إلى طرف منه وأختم به الكلام على هذا الفص إن شاء الله تعالى.

[12 /16] فأقول: أعظم الأشياء الموصوفة بالسعة من جانب الحق: الرحمة والقلب الإنساني والعلم، فإنه قال في سعة الرحمة: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: 156] وقال في الرحمة والعلم معاً بلسان الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [غافر: 7] فقال في سعة القلب الإنساني: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**»[1] . . . الحديث. ولا شك أن بين سعة كل واحد من هذه الثلاثة وبين الآخرين تفاوتاً لا يعرف معرفة حقيقية ما لم يعرف حقيقة الرحمة وأحكامها وحقيقة العلم وكيفية تعلقه بالمعلومات وحقيقة القلب الذي وسع الحق، فلنبدأ بتأييد الله وإمداده بذكر سعة العلم الذاتي الإلهي وتعلقه بالحق والمعلومات.

[12 /17] فنقول: اعلم أن **تعلق علم الحق بذاته على نحوين** ـ وكذلك تعلقه بالمعلومات ـ: فإن للحق تعيناً في عرصة تعقله نفسه، ولهذا تعين الإطلاق بالنسبة إلى تعين كل شيء في علم كل عالم، بل وبالنسبة إلى تعين الحق في تعقل كل متعقل ويتعلق علمه تعالى من حيث تعينه في نفسه ومن حيث تعينه في تعقل كل متعقل؛ فعلمه سبحانه يتعلق به أيضاً بذاته على نحو آخر وهو: معرفته بذاته من حيث إطلاقها وعدم انحصارها في تعينها في نفسه، وهذه من معرفة كلية جملية.

---

(1) أورده العجلوني في كشف ضمن حديث رقم (1885) [2/ 129].

[12 /18] ويتعلق علمه بالمعلومات أيضاً على نحوين: أحدهما باعتبار تعينها في علمه وتعقل امتياز بعضها عن بعض، غير أن هذا النحو من التعلق العلمي لا يشتمل جميع الممكنات، بل يختص بما قدر دخوله في الوجود في دور أو أدوار محصورة؛ وأما بالنسبة إلى جميع الممكنات من حيث إنها غير متناهية: فإن العلم لا يتعلق بها إلا تعلقاً كلياً جملياً، كما أشرت إليه في شأن الحق من حيث إطلاقه.

[12 /19] وعلة هذه النسبة والاشتراك التام بين الحق والممكنات هو أنها في التحقيق إلا وضح شؤون ذاته الكامنة في إطلاقه وغيب هويته، ولا تخلص لأحد في علمه بالحق من تجاوز التعينات التعقلية والانتهاء إلى تعين الحق في تعقله نفسه وشهود اتصال ذلك التعين من وجه بالإطلاق الذاتي الغيبي العديم الوصف والاسم والرسم والحصر والحكم إلا لمن كان حقيقته البرزخ الجامع بين الوجوب والإمكان وأحكامها، فإنه يواجه بإطلاقه غيب الذات باعتبار عدم، لأنه لا تعقل له فكري يحضره عن إطلاقه مغايرته له دون توهم تعدد وامتياز. فافهم وتدبر غريب ما سمعت وما عليه نبهت، تعرف أنه ليس شيء أوسع من العلم بشرط معرفته على الوجه المذكور.

[12 /20] وأما **سعة الرحمة** المشار إليها في الكتاب والسُنَّة: فتخصص ببعض المحدثات المتعينة في اللوح المحفوظ بكتابة القلم الأعلى وهي المتشعبة إلى مائة شعبة ـ كما أشار ﷺ ـ.

[12 /21] وأما **سعة القلب** الذي وسع الحق فهي عبارة عن سعة البرزخية المذكورة الخصيصة بالإنسان الحقيقي الذي هو قلب الجمع والوجود، فإن الإنسان الحقيقي الذي هو قلب الجمع والوجود؛ قلبه برزخية وعلمه المنبه عليه آنفاً، فافهم. فهذا روح هذا الفص والخفي من أسراره، وقد نبهت فيما تقدم على ما يختص بشعيب من حيث حظه الذوقي وحكمه الأسمى.

[12 /22] وأما حظه من السعة: فبحسب مرتبة قلبية المشبهة بالروح

الحيواني، وهي التي نسبت إليها وشعبها وأحكامها بمقدار حصته من مطلق قلب الجمع والوجود، فإنها حصة متعينة نسبتها إلى قلب الجمع والوجود نسبة عالم المثال المقيد إلى عالم المثال المطلق، فافهم، وذكرت أمهات القلوب فتذكر. وإذا اعتبرت وحدة الجملة من حيث عدم تشعبها وأعرضت عن الحيثيات والاعتبارات كلها، انمحت السعة وأحكامها، فإنه لا يقال في شيء الواحد الوحدة الحقيقية المستعلية على كل وحدة متعلقة وكثرة: إنه يسع شيئاً أو لا يسعه شيء، إذ لا عدد ولا تفصيل، فاعلم ذلك.

(13)

فك ختم الفص اللوطي

[1/ 13] إنما قرن الشيخ رضي الله عنه هذه الحكمة بالصفة الملكية مراعاة للأمر الغالب على حال لوط عليه السلام وأمته، وما عامل الحق به قومه من شدة العقوبة في مقابلة الشدة التي قاساها لوط عليه السلام منهم حتى نطق لسان حاله معهم بقوله تعالى: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: 85].

[2/ 13] واعلم أن **العقوبات الإلهية كلها مجازاة** لا يقع منها شيء إبتداءً أبداً؛ ومجازاة الحق عبارة عن إظهار نتائج أفعال العباد، فإنه موجد على الإطلاق، والأفعال الصادرة عن الخلق مواد نتائجها، فالنتائج بحسب المواد، فإذا كانت المواد متوفرة في القوة والكثرة كانت ظهور ثمراتها عظيمة شريفة، وإذا كانت ـ أعني المواد ـ ضعيفة القوة ويسيرة: تأخر ظهور النتيجة واستهلكت في ضمن قوة أضدادها. وهذا من سر ما أشرت إليه في سر العفو والمغفرة ومحو الحسنة السيئة وسر التبديل. وقد تقدم بيان ذلك كله في شرح الأحاديث الإلهية، فالآيات الباقية من آثار المعاقبين سببه وفور قوى أرواحهم القبيحة المستلزمة لظهور ثمراتها الشديدة الباقية الأثر؛ فاعلم ذلك، فهذا سر هذه الحكمة.

(14)

فك ختم الفص العزيري

[14 /1] اعلم أن الحق لا يعين من نفسه شيئاً لشيء أصلاً، صفة كان أو فعلاً أو حالاً أو غير ذلك، لأن أمره واحد وأمره الواحد عبارة عن التأثير الوحداني بإفاضة الوجود الواحد المنبسط على الممكنات القابلة له والظاهرة به والمظهرة إياه، متعدداً متنوعاً مختلف الأحوال والصفات بحسب ما اقتضته حقائقها الغير المجعولة المتعينة في العلم الأزلي.

[14 /2] فكان من مقتضى حقيقة عزير عليه السلام وأحكام لوازمها انبعاث رغبة منه نحو **معرفة سر القدر** وانتباه فكره في القرية الخربة بصورة استبعاد إعادتها على ما كانت عليه. فأظهر الله له بواسطة فكره واستبعاده أنواعاً من صور الإعادة وأنواعاً من أحكام القدرة التابعة للعلم، التابع في التعلق للمعلوم، هذا وإن كان الأكثرون يظنون أن القدرة تابعة الإرادة وأن الإرادة تقتضي التخصيص؛ والكشف المحقق يعطي أن الإرادة ليس لها إلا تعين التخصيص الإلهي العلمي، لا أنها مبدأ التخصيص، كما أن العلم لا أثر له في المعلوم، بل المعلوم تعين تعلق العلم به على حسب ما هو المعلوم عليه في نفسه من التعين والجزئية لا غير، وهذه عمدة سر القدر.

[14 /3] وقد زاد شيخنا رضي الله عنه بسطاً فلا حاجة إلى التصدي لإعادة الكلام فيه، هذا وإن كنت قد استوفيت الكلام عليه غير مرة في هذا الكتاب وغيره من تصانيفي وأتممت تقريره، الحمد لله، وسأنبه الآن على أحكام القدرة في أنواع المعاد وما أظهره الله في حال عُزَيْر منها.

[14 /4] فأقول: **المعاد يقع على ضروب متعددة**: أحدها إعادة الصورة المركبة من أجزاء مخصوصة بعد افتراق تلك الأجزاء وجمعها وعلى نحو

هيئتها الأولى وإعدادها لاتصال روحها بها اتصال تدبير مقوم لتلك الصورة مُمَكِّن إياها من التصرف الذي يقتضيه استعدادها واستعداد الروح من حيثها في جانب المنافع ودفع المضار الخصيصين بتلك الصورة وروحها.

[5/ 14] وإلى هذا النوع الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: 3، 4] ونحو ذلك مما أشار إليه الشريعة بأن تلك الأجزاء محفوظة في معادنها إلى حين ورود الأمر بعودها إلى محل اجتماعها بالموجبات المقتضية اجتماعها أولاً، لكن اجتماع الأول موقوف على تعيين الأجزاء من الكليات، وهذا الاجتماع تأليف من أجزاء موجودة متعينة، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 27] إن إعادة التأليف من الأجزاء الموجودة المتعينة أهون من إنشاء أجزاء هي مستهلكة الوجود في الكليات ثم الشروع في تأليفها، وهو قوله: وهو أهون عليه، إنما بالنظر إلى نفس القضية من حيث هي، لا بالنظر إلى الحق سبحانه، فإنه لا يصعب ولا يعتاص عليه شيء.

[6/ 14] والنوع الآخر من الإعادة وهو بطريق حراسة الصورة المركبة من انفكاك أجزائها ـ مع مفارقة الروح لها ـ لعدم استعداد الصورة لقيام الحيوة بها، المستلزمة لإقبال الروح على تدبير تلك الصورة؛ وميل هذا الروح لكماله، أكسب الصورة زمان تدبيره لها صفة من صفات البقاء الذي تقتضيه ذاته، فإن البقاء صفة ذاتية للأرواح، وأيضاً: فإن إعراض الروح عن تدبير الصورة التي فارقها وإقباله على مظهر آخر واستغراقه فيه حتى استلزم ذلك الإعراض انفكاك أجزاء تلك الصورة وتحللها؛ إنما ذلك لضعفه وعجزه عن الجمع بين الطرفين، أعني الجمع بين ملاحظة عالم الدنيا والعالم الذي انتقل إليه.

[7/ 14] وأما أمثال هذه الأرواح الكلية المقدسة الكاملة ـ فإنها لا يشغلها شأن عن شأن ولا يحجبها عالم عن عالم، لأنها ليست محبوسة في

البرزخ، بل لها تمكن من الظهور في هذا العالم متى شاءت، فلم يعرض عن هذا العالم بكل وجه ـ: وقد تحققنا ذلك وشاهدناه ورأينا جماعة قد شاهدوا ذلك وكان شيخنا رضي الله عنه يجتمع بالنبي ﷺ ومن شاء ممن هذه صفته من المنتقلين إلى الدار الآخرة متى شاء من ليل أو نهار. وجربت ذلك غير مرة.

[8/ 14] وهذا النوع هو الذي أشار إليه بقوله ﷺ: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[1]. وموجبه ما قلت من بركة مصاحبة الروح المقدس ذلك الجسد واكتسابه صفة من صفات بقائه، مع عدم إعراضه عنه بالكلية بعد مفارقته حالة تدبيره له. فمثل هذا الجسد المحروس من الانفكاك متى أمد بقوة وأمر بكسبه ضرباً من الاعتدال، اتصلت به الحيوة واستعد لعود إقبال الروح عليه بالتدبير؛ وهذا النوع من الإعادة كانت إعادة عزير عليه السلام.

[9/ 14] والنوع الآخر من الإعادة هو أن الصورة المركبة وإن انفكت أجزاؤها وتحللت الأعراض اللازمة، فإن جواهرها محفوظة عند الله في عالم من عوالمه يشهده أهل الكشف في أمر حامل لها، هو المعبر عنه بـ«عُجْب الذَّنَبْ» وهو نفس جسمية تلك الصورة، لكن من حيث قيام الروح الحيواني وجميع قواه المزاجي بذلك الجزء الجسماني، ومتى شاء الحق إعادتها ضم إلى تلك القوى جواهر تلك الأجزاء الجسمانية أعراضاً ملائمة لها شبيهة بالأعراض المتقدمة التي كانت حاملة لها، فالتأمت بها على نحو ما كانت عليه أو على نحو ما يقتضيه الوقت والحال الحاضر، وخاصية هذا الاجتماع الثاني وما يتصل به من نتائج الصفات والأحوال الناتجة من الاجتماع الأول والتدبير المتقدم، ومن هذا القبيل كان إعادة حمار عزير عليه السلام.

(1) رواه الحاكم في المستدرك، حديث رقم (8681) [4/ 604] ورواه ابن ماجة في السنن، باب ذكر وفاته. . ، حديث رقم (8681) [1/ 524] ورواه غيرهما.

[10/ 14] ولهذا قال سبحانه: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾ [البقرة: 259] فأظهر الله سبحانه وتعالى في هذا المقام ثلاثة أمور حاصرة لأقسام الحفظ: أحدها حفظ الصورة المعهودة عن سرعة تغيرها وعدم بقائها، فحرسها عن التغير وإبقائها على ما كانت عليه، وهذا شأن طعام عزير وشرابه، والصورة الثانية حفظ صورته من التحليل وانفكاك الأجزاء مع أعراض الروح المدبر لصورته ـ كما نبهت عليه من الموجبات المذكورة ـ والصورة الثالثة حفظ جواهر صورة حماره ـ إن تحللت أجزاؤها ـ ثم إنشاء أعراض أخر حاملة لتلك الجواهر شبيهة بالأعراض المتقدمة، وتم الأمر وانحصرت الأقسام. فافهم، هذا هو سر الحال العزيري الذي لم ينبه الشيخ رضي الله عنه، وما يتعلق بسر القدرة فقد ذكره.

(15)

فك ختم الفص العيسوي

[15 /1] اعلم أن لفظ النبي قد وردت بالهمزة وبدونه، فبالهمزة هو مشتق من النبأ، وهو الإِخبار، وبدون الهمزة هو من نبا ينبو، إذا ارتفع، ومراد شيخنا رضي الله عنه من أقرانه هذه الحكمة بالنبوة ليس بمعنى الإِخبار، فإن كل من ذكره من الأنبياء في هذا الكتاب مشتركون في ذلك، وإنما مراده معنى الرفعة، وسأذكر معنى الرفعة وغيرها من الصفات الخصيصة بعيسى عليه السلام ما يسر الله ذكره، لكن بعد تقديم مقدمة كلية مشتملة على أسرار شتى، يستعان بها في فهم ما أذكره في شأن عيسى عليه السلام وأسرار رفعته.

[15 /2] فأقول: اعلم أن **الموجودات متفاوتة الدرجات** في الشرف والخسة والنقص والكمال، فأي موجود قلت الوسائط بينه وبين موجده أو ارتفعت وقلت فيه أحكام الكثرة الإمكانية وقويت نسبته من حضرة الوحدانية الإلهية كانت أشرف وأتم قرباً من الحق من حيث وحدانيته، وكثرة الوسائط وتضاعف وجوه إمكاناتها مع وفور الأحكام الإمكانية في الموجود يقضي بخسته ونزول درجته وبعد نسبته من حضرة الوحدانية.

وأما النقص والكمال: فهما بحسب وفور الجمعية بين الصفات الإلهية والحقائق الكونية، لأنها المستلزمة لوفور الحظ من صورة الحضرة الإلهية التي حذى عليها الصورة الآدمية والقرب من مرتبة المضاهاة أو بحسب نقصه ـ أعني نقص الحظ المذكور ـ فأي موجود كان أكثر استيعاباً للصفات الربانية والحقائق الكونية ظاهراً بها بالفعل، كانت نسبته من حضرة المضاهاة والخلافة الإلهية أقرب، وحظه من صورة الحضرة أوفر،

والأقل حظاً مما ذكرنا له النقص.

[15 /3] ثم إن **درجات النقص والكمال** تتفاوت بحسب قلة الجمعية الفعلية وكثرتها، وبها تظهر النقائص والكمالات النسبية وتثبت المفاضلة بين الأنبياء والأولياء، والمستوعب في كل عصر وزمان بالذات والمرتبة والعلم والحال والفعل بجميع الحقائق الأسماء الإلهية والصفات والحقائق الكونية وأحكامها المتصلة آخر كثرته. برزخ البرازخ الجامع بين الغيب الذاتي الإلهي الإطلاقي وأحكام الوحدانية الوجوبية وبين الحقائق والخواص الكونية وأحكامها الإمكانية على سبيل الحيطة، له الكمال الذي تستند إليه مرتبة الخلافة الكبرى، والوحدانية التي تقرب النسبة منها يثبت الشرف لما ذكرنا.

[15 /4] ثم ليعلم أنه ما من موجود إلا وارتباطه بالحق من وجهين: الوجه الواحد جهة سلسلة الترتيب والوسائط، والجهة الأخرى لا حكم فيها لواسطة من الوسائط أصلاً، والمحققون يسمون هذا الوجه: الذي لا واسطة فيه بين كل موجود وبين ربه بالوجه الخاص، غير أن باب هذا الوجه مسدود عن أكثر الخلق من حيثهم: وقد نبه على ذلك النبي ﷺ في غير ما موضع من إشاراته، فإنه كان يروي أحياناً عن جبرائيل، وجبرائيل عن ميكائيل وميكائيل عن إسرافيل وإسرافيل عن الله تعالى؛ وكان يروي أحياناً عن جبرائيل عن الله وكان يروي أحياناً عن الله تعالى ـ دون واسطة جبرائيل ـ ويقول: «قال لي ربي»[1]. ويقول أيضاً: «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه غير ربي**»[2]. ويقول: «**أتاني ربي**»[3]، ونحو ذلك.

[15 /5] وإذا وضح هذا الأصل وما تقدم ذكره فاعلم: أن جبرائيل

---

(1) رواه ابن حبان في صحيحه، ذكر ما يستحب للمرء إذا علم من أخيه. . ، حديث رقم (3017) [7/ 287] ورواه الطبراني في المعجم الأوسط، من اسمه محمد، حديث رقم (5572) [5/ 366] ورواه غيرهما.

(2) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (2159) [2/ 226].

(3) رواه الترمذي في سننه، باب ومن سورة ص، حديث رقم (3234) [5/ 367] ورواه الطبراني في الكبير برقم (8003) [8/ 258] ورواه غيرهما.

وميكائيل وغيرهما ـ ما عدا القلم الأعلى ـ يأخذون عن الله بواسطة وبغير واسطة، وكذلك الأكابر من الأنبياء والأولياء. ومن جملة ما أخذه جبرائيل عن الله بلا واسطة الكلمة الإلهية العيسوية التي ألقاها إلى مريم، وتلك الكلمة متحصلة من الحروف التي كان اجتماعها سبباً لوجود الأرواح وهي ثمانية حروف وتاسعها التجلي النفسي الساري في كل موجود والموجب لظهور السر الإلهي المتعين بعيسى عليه السلام، وفيه هو معنويات تلك الحروف وأنها عبارة عن جملة أحكام الوجوب التي هي آثار الأسماء الذاتية وتوجهاتها بتجلي الحق من حيث هي في مرتبة الألوهية، وتعين ثمانية قابليات في المؤثر فيه ـ هو تاسعها ـ.

[15 /6] فتلك ثمانية عشر ومظاهرها من الحروف هذا الترتيب: الباء والجيم والدال والهاء والواو والحاء والطاء والياء والكاف والميم والفاء والقاف والراء والتاء والثاء والخاء والسين والظاء، وسبب اختلاف وجود الأرواح وأحوالهم هو بحسب المرتبة التي يقع فيه الاجتماع بين توجهات الحقائق المذكورة وما يقابلها من قابليات حقائق الأعيان المؤثر فيها.

[15 /7] وإذا علمت هذا فاعلم: إن الحروف الغير المنقوطة من هذه الثمانية عشر مظاهر توجهات الحقائق المذكورة، والمنقوطة مظاهر قابليات الحقائق المؤثر فيها؛ فافهم، والله أعلم.

[15 /8] وصورة تأليفها كلها كلمة هي حقيقة روحية عيسى عليه السلام، وصورة عيسى مكونة من صيغة الكلمة الإلهية بالصفة الجبرائيلية، وبسبب ثباتها في هذا العالم مدة هو مكتسب من سر طبيعة مريم، وموجب سراية القوة الطبيعية من مريم فيما نفخه جبرائيل من الكلمة هو خاصية التمثيل الجبرائيلي بشراً سوياً، أي حسناً معتدلاً، وحال الفعل هو من وجه شبيه بالاحتلام.

[15 /9] ولما كان مقام جبرائيل بالسدرة والسدرة مقام برزخي، لأنه متوسط بين عالم الطبيعة العنصرية وبين عالم الطبيعة الكلية ـ في مرتبتها

الثابتة المختصة بعالم المثال والعرش والكرسي وما اشتملوا عليه ـ لهذا كانت صورة جبرائيل التي جاء بها مشتملة على خواص ما فوق السدرة وما تحتها.

[10/ 15] وأما إحياء عيسى الموتى: فلغلبة السر الروحي المتعجن فيه.

11/ 15 وأما الإِذن الإلهي له: فعبارة عن تمكين الحق له من فعله ما فعل، وذلك من آثار الأسماء الذاتية وتوجهاتها التي قلت إنها حروف كلمته وحلية صورته هي من النسبة الحاصلة من الصورة الجبرائيلية.

[12/ 15] ومن علم أن جبرائيل هو **روح طبيعة عالم العناصر وما ظهر عنها** ـ كالسموات السبع وما اشتملت عليه العناصر هذا من المولدات ـ علم أن عيسى عليه السلام من وجه هو صورة روحانية جبرائيل ومظهر مقامه عند السدرة الموصوفة آنفاً بالبرزخية؛ كما أن مريم صورة الطبيعة الكبرى، ويعرف أن فك له ختام ما ذكرت في هذا الفص لم كان عيسى عليه السلام روح الله وإلى أي اسم ينضاف من الأسماء التي يشتمل عليها الاسم الله، وسأكشف القناع عن بقية أسرار أحواله الكلية إن شاء الله تعالى لتعرف بتوفيق الله وإرشاده من ذلك سر ختميته وسر كونه آخر الأولياء ما حظه من الجمعية الكبرى الخصيصة بالحقيقة الإنسانية الإلهية الكمالية المنبه عليها من قبل؛ وأنبه على الحكمة التي يتضمنها نزوله ودخوله في دائرة الشريعة المحمدية وانصباغ ما يوحى به إليه حالتئذٍ بحكمها وصفاتها، وتعرف من لوازم هذه الأحوال المذكورة من أسرار شؤونه وأحكامه زوائد أخر، تتضمنها التنبيهات المذكورة.

[13/ 15] فأقول بعون الله وتوفيقه وتأييده: وأما **سر ختميته عليه السلام** فثابتة من وجهين: أحدهما من جهة ما تضمنته الإشارة الإلهية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: 59] فآدم عليه السلام أول مظهر بصورة الجمعية الحقيقة الإنسانية الإلهية التي بها ختم

الحق مراتب الإيجاد، وعيسى عليه السلام ظهر بصفة روح تلك الجمعية لا صورتها، فإن صورته عرضية ومرتبتها مثالية، فمماثلة عيسى لآدم عليهما السلام ثابتة من حيث الجمعية والختمية؛ ولهذا عرف الحق سبحانه آدم في الآية أنه: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: 59] ليعلم أن المماثلة بين عيسى وآدم ليست من حيث المادة والخلقة، بل من وجوه أخرى، كالذي نبهتك عليه من شأن الجمعية والختمية وغيرهما.

[14/ 15] ولما كانت **روحية عيسى كلية عامة الحكم** بالنسبة إلى صورة الكون وأضافها الحق إلى نفسه لا بطريق التبعيض، بل بطريق التشريف، مع ما علم أن للروح بالنسبة إلى الصورة في التعين والظهور مرتبة الآخرية، ولهذا توقف تعين الأرواح الجزئية وتعلقها بالأبدان للتدبير المستلزم للاستكمال، على صورة المزاجية التي لها درجة الأولية، علم أن ختم مرتبة الإيجاد الإنساني الذي ظهرت به الحقيقة الإنسانية الجامعة الإلهية إنما يكمل بالنفخ الروحي؛ جزء بالنسبة إلى أفراد صور الأناسي، وكلا بالنسبة إلى مطلق صورة الكون المعبر عنها أحياناً بظاهر الحق وأحياناً بتفصيل الصورة الإنسانية الحقيقية. ومن تتبع ما أسلفناه في هذا الكتاب في هذا الباب وضح له بتأييد الله صحة ما سبقت الإشارة إليه.

[15/ 15] وأما الوجه الآخر المنبه على سر ختميته: فهو ما أشار إليه نبينا ﷺ في الحديث الثابت المتضمن جملة من آثار الساعة وأماراتها وفيه: **أنه إذا قبض عيسى ومن معه من المؤمنين بريح يأتيهم من قبل الجنة، وفي رواية: «من قبل الشام، وفي رواية: من قبل اليمن، تأخذهم من تحت آباطهم فيموتون فلا يبقى على وجه الأرض مؤمن ويبقى شرار الناس يتهارشون تهارش حمر الوحش في البرية، لا يحلون حلالاً ولا يحرمون حراماً، فعليهم تقوم الساعة»**[1]. فإذا لم يبق يومئذٍ على وجه الأرض

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب ذكر الدجال. . ، حديث رقم (2937) [4/ 2250] ورواه ابن ماجة في السنن، باب فتنة الدجال. . ، حديث رقم (4075) [2/ 1356] ورواه غيرهما.

مؤمن، فأحرى أن لا يبق ولي، فثبت ختميته من هذا الوجه أيضاً.

[16/ 15] وأما **حظه من الجمعية الإنسانية**: فصفة كلية من صفات روح الجمعية وهو الموجب لدخوله في دائرة الشريعة المحمدية وحكمه، فإن سر الأحكام الشرعية، الروحانية النسبة من حيث الملقى والملقى عليه، ولما قويت نسبته عليه السلام من روح الجمعية الإنسانية وجب دخوله في دائرة الشريعة الجامعة التي هي خاتمة الشرائع وانصباغ ما يوحى به إليه بصبغة الشريعة المحمدية. فافهم.

[17/ 15] وأما نزوله فلأمرين: أحدهما تتميم أحكام روح الجمعية ـ كما نبهت على كلية ذلك ـ والأمر الآخر هو تنبيه على طلوع الفجر الأخراوي؛ ولهذا يحارب الدجّال، فإن الدجّال مظهر حقيقة الدنيا وحكم الحق فيها، ولهذا كان أعور عين اليمنى، فإنه عديم روح مرتبة الربوبية التي روحها الآخرة دار الحيوان؛ فالنزاع بين مظهر الدنيا والآخرة. ولما كان ذلك الوقت هو زمان طلوع الفجر الأخراوي وزمان موت الدنيا وذهابها، لزم أن يهلك عيسى الدجّال ولزم أن يكون ذلك بباب «لد» من بيت المقدس، لأن ذلك ألد الخصام والنزاع والخصومة.

[18/ 15] فهذا بعض ما يسر الله ذكره من أسرار عيسى عليه السلام، فإن أسراره كثيرة والشروع في بيانها يفضي إلى التطويل، فاكتفيت بهذا، وسأذكر في فك ختم الفص المحمدي ما بقي من تتمة هذا الأصل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(16)

فك ختم الفص السليماني

[16/ 1] اعلم أن الرحمة تنقسم أولاً على قسمين: **أحدهما** الرحمة الذاتية و**الأخرى** الرحمة الصفاتية؛ وكل واحد من هاتين الرحمتين تنقسم إلى قسمين: عامة وخاصة، فيصير أربعة أصول هي الأمهات، ثم يتفرع من هذه الأمهات ستة وتسعون فرعاً فتكون مائة، كما أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: **إن لله مائة رحمة**... الحديث[1].

[16/ 2] فقد نبه الحق سبحانه على ذلك بقوله في أم الكتاب: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 1 ـ 3] فاللتان في البسملة هما الذاتية العامة والخاصة، واللتان في الفاتحة هما الصفاتية العامة والخاصة؛ وباقي الرحمات متفرعة عن هذه.

[16/ 3] وإذا عرفت هذا فاعلم: أن **الرحمة الخصيصة بسليمان** عليه السلام من الرحمة العامة الصفاتية ومن حكم الرحمة الذاتية التي وسعت كل شيء، فكان بحكمها أيضاً صفة العموم، ولهذا عم حكم سليمان وتصرفه في العالم، فسخر الله له العالم الأعلى والأسفل.

[16/ 4] وأما **تسخيره له العالم السفلي** فواضح، لتحكمه في الجن والإنس والوحش والطير وسائر الحيوانات البرية والبحرية، وتعدى حكمه إلى العناصر، فسخر الريح تجري بأمره وسخر له الماء يغوص له فيه الشياطين النارية، وهذا من أعظم تسخيرات الجمع بين ما من النار مع

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

الماء ـ مع تضاد طبائعهما ـ ولذلك نبه سبحانه على ذلك بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ [الأنبياء: 82] فأخبر أن كل ما كانوا يعملون له فهو دون غوصهم ـ لما ذكرت من صعوبة الجمع بين الأضداد ـ وسخرت له الأرض أيضاً يتبوأ منها حيث يشاء.

[5/ 16] وأما **تسخير الجن له العالم العلوي** فواضح أيضاً عند المستبصرين، فإن كل ما تيسر له عليه السلام في هذا العالم فإنه من آثار تسخير الله له ذلك العالم وتعليمه إياه أسباب التصريفات. فافهم، فهذا من آثار حكم العام الخصيص بالرحمة العامة.

[6/ 16] وأما **الرحمة الخاصة الذاتية** فهي العناية والمسماة أيضاً بقدم صدق التي هي من آثار حب الحق بعض عباده، لا لموجب معلوم على التعيين من علم أو عمل أو غيرهما من الأسباب والوسائل، وإليه الإشارة بقوله تعالى في حق الخضر: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: 65].

[7/ 16] وأما **الرحمة الخاصة الصفاتية** فخصيص بالسعداء وينقسم حكمها إلى قسمين: قسم مؤقت وقسم غير مؤقت، فالمؤقت يختص بالسعداء في الدنيا الفائزين بنيل مراداتهم في غالب الأحوال والأوقات ـ دون الآخرة ـ ولهذا نبهنا الحق بما يفهم منه استثناء سليمان بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ [صٓ: 45] فجمع له السعادتين فلم تكن سعادته مؤقتة، بل أبدية الحكم. فافهم.

[8/ 16] وأما حكم **الرحمة الخاصة الغير المؤقتة** فتختص بأهل الجنة، لأن نعيمهم أبدي كما قال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هود: 158] فهو عطاء غير منقطع خالص من الأنكاد غير مشوب بالأمور المنقصة كما قال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [الأعراف: 32] فقوله: ﴿خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾: تنبيه على أنها وإن حصلت لمن حصلت له

من المؤمنين هنا، فإنها تكون مشوبة بالأنكاد والغصص لا تعطيه خواص هذا الموطن والنشأة الإمشاجية، وإنما تخلص للسعداء في الجنة فإنها محل مقدس سليم من كل ما يوجب كدراً أو نكداً، لأنها كما أخبر النبي ﷺ في الكرسي وسقفها عرش الرحمن المحيط بجميع الصور كإحاطة اسم الرحمن بجميع الموجودات ـ رحمةً وعلماً وحكماً ـ فافهم.

[9/ 16] وأما **الكرسي** فمظهر الاسم الرحيم الذي له التخصيص ومستواه، كما أن العرش مستوى الاسم الرحمن دون غيره وله العموم؛ وقد نبهت فيما مر على أن كل سماء من محل حكم اسم من أسماء الحق ومستواه، وإسناد تلك الأسماء إلى الحق إنما يكون من حيثية ذلك الاسم، ومن مقامه تعيين الأمر الموحى به إلى تلك السماء المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ [فصلت: 12] فتذكر فقد عرفتك انقسام الرحمة الذاتية إلى عامة وخاصة، وكذلك الصفاتية وعينتها لك وعرفتك أن الرحمة التي وسعت كل شيء هي الوجود، وأن الاسم الرحمن اسم للحق من كونه وجوداً محضاً منبسطاً نوره على الممكنات الموجودة، كما أخبر سبحانه عن ذلك بقوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: 35] ثم ذكر مراتب ظهورات النور وأمثلة مواد مظاهرها.

[10/ 16] فاعلم أن لهذا الوجود من حيث مبدأ انبساطه وتعينه من غيب هوية الحق مراتب كلية في التعين والظهور، أولها عالم المعاني، ثم عالم الأرواح التي نسبتها إلى مرتبة الظهور أتم من نسبة عالم المعاني، ثم عالم المثال المجسد الأرواح والمعاني، بمعنى أنه لا يظهر ولا يتعين فيه شيء إلا متجسداً، ثم عالم الحس الذي أوله صورة العرش المحيط بجميع الأجسام المحسوسة المحدد للجهات، وبه انتهى، أي استوى السير المعنوي الوجودي الصادر من غيب الهوية في مراتبه الكلية للظهور الذي غايته عالم الحس، لأن تعينات الوجود وتنوعات ظهوره بعد العرش إنما هو تفصيل وتركيب. فوضح أن في العرش وبه تمت درجات الظهور ـ كما بينا ـ ولهذا أضيف الاستواء إلى

الاسم الرحمن دون غيره من الأسماء؛ لما مر من أن الرحمن صورة الرحمة التي وسعت كل شيء وانتهت ظهوراته الكلية في العرش.

[16/ 11] وأما الحكم العام الوجودي فإنه يظهر في كل مرتبة من المراتب الأربعة الكلية المذكورة ويتفصل فيها يليها من المراتب التفصيلية بحسب تلك المرتبة، فإن فهمت ما نبهت عليه في فص هذه الحكمة السليمانية استشرفت على أسرار غريبة من جملتها سر الاستواء، فتلقاه صادقاً بمعنى التمامية في درجات السير المعنوي لتكمل مراتب ظهورات الوجود وبمعنى الاستيلاء الحكمي المنبث من العرش وبه ومما فوقه من الملأ الأعلى في السموات والأرض وما فيها وما بينها، وعرفت بقية معاني الاستواء، عرفت أيضاً أن ما بعد العرش من صور الأحكام تفاصيل ظهورات الوجود وأحكامه، يجتمع في كل موجود منها جملة بحسب ما يقبله استعداده ويقتضيه سعة دائرته المعنوية.

[16/ 12] ولم يزل الأمر يتدرج في الجميع والظهور حتى انتهى الأمر إلى النوع الإنساني، فكان هدفاً لجميع القوى الطبيعية والأحكام الأسمائية الوجوبية والتوجهات الملكية والآثار الفلكية ومحل جمعها، وقد سبق التنبيه على كل ذلك.

[16/ 13] لكن ينبغي لك أن تعلم أن انبساط هذه الأحكام والآثار والخواص تختلف تعيناتها وظهوراتها واجتماعاتها في عرض المرتبة الإنسانية بحسب درجات الاعتدال المتعينة بأمزجة الأناسي وفيها، وهي سبب تعينات مراتب أرواحهم، إن تفاوت تعينات الأرواح الجزئية الإنسانية هو بحسب التفاوت الواقع في درجات اعتدال أمزجة أربابها.

[16/ 14] ثم أقول: ولم تزل الأحكام والآثار المذكورة وخواص الظهورات التعينية تبرز من الغيب إلى الشهادة ومن القوة إلى الفعل ومن حضرة البطون إلى حضرة الظهور في الطور الإنساني أيضاً، كالأمر فيما ذكر من قبل بالتدريج والحكم والفعل، حتى انتهى الأمر من الوجه المذكور إلى

داود وسليمان عليهما السلام، وكان داود مظهر كليات تلك الأحكام الأسمائية والصفات الربانية والآثار الروحانية والقوى الطبيعية مستجمعها، فاستحق الظهور بمقام الخلافة وأحكامها وأحكام الحكمة وفصل الخطاب وورثه سليمان في الجمع زاد بالتفصيل الفعلي والحكم الظاهر الجلي والتسخير العام الكلي العلي.

[16 /15] فما ظهر في الوجود أحد من الناس أعظم ملكاً ولا أعم حكماً منه ولا يظهر بعده، لأنه لما بلغ ظهور ما قدر الله ظهوره من أسرار الربوبية والأمور التي سبق ذكرها المضافة إلى الحق وإلى الكون من حضرة العلم إلى أقصى درجات الظهور المعلومة عند الله، وقع التحجير بإجابة دعوته، فعادت هذه الأمور بعد كمال ظهورها راجعة من حضرة الظهور إلى حضرة البطون بنحو من التدريج الواقع في أزمنة بروزها من حضرة البطون إلى حضرة الظهور، فإنه ما ثمة إلا ظهور من بطون أو بطون من ظهور، فما نقص من الباطن أخذه الظاهر وبالعكس.

[16 /16] ولما كانت نسبة حكم الرحمة العامة الخصيصة بحال سليمان عليه السلام إلى حقيقة الرحمة العامة نسبة الصفة إلى الموصوف مع اشتراكهما أيضاً في الحيطة وعموم الأثر، وكان ما أعطيه سليمان عطاء ممزوجاً من حقيقة الرحمة وحكمها، فتوقف ميل ما منحه على الدعاء الذي هو من سر حكم الرحمة باعتبار امتياز الصفة عن الموصوف ونزولها عن درجة الموصوف بها ومن حيث إلهام الحق إياه الدعاء وإجابته لدعائه وإخبار الحق له بقوله: ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [صٓ: 39] هو سر الرحمة الذاتية العامة، فافهم.

[16 /17] فهذا ما قدر الله ذكره من أسرار أحوال سليمان عليه السلام مما لم ينبه عليه شيخنا رضي الله عنه، ولو بسطت القول في بيان أسرار أحواله ما اطلعت عليه لطال الكلام ونبت عنه الأفهام، فليكتف الألباء بما يسر الله ذكره، والله المرشد.

(17)

فك ختم الفص الداودي

[17/ 1] اعلم أن كثيراً مما عزمت بمشيئة الله تعالى على ذكره في شرح هذا الفص هو من وجه كالتتمة لما ذكر في بيان أسرار أحوال سليمان، فإن بين أسرار أحوال سليمان وداود عليهما السلام اشتراكاً عظيماً قد نبه الحق سبحانه في كتابه عليه بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ [النمل: 15] بما حكاه من سليمان حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: 16] فاشترك معه إياه فيما رزقاه، وكذلك شرك الحق بينهما في طلب الشكر ولذلك: ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: 15] فاشتركا في الأمر والحكم أيضاً كما قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ [الأنبياء: 78] وبقوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: 79]؛ فافهم.

[17/ 2] وذلك سر إقران شيخنا رضي الله عنه هذه الحكمة بالوجود حيث قال: فص حكمة وجودية في كلمة داودية، فكأنه أشار إلى شيء مما أوضحته من سر الوجود وسيره في درجات ظهوره وكونه عين الرحمة التي وسعت كل شيء.

[17/ 3] فأقول: قد بينا أن الرحمة ذاتية وصفاتية وأن لكل منهما حكماً عاماً وخاصاً، وذكرنا حكم العام الخصيص بالرحمة العامة واختصاصه بسليمان وما يتعلق بذلك كله مع زوائد شتى.

[17/ 4] فاعلم أن الحكم الخاص ـ المضاف إلى الرحمة العامة الصفاتية ـ من الخلافة الإلهية، فظهرت أحكامها في المراتب الوجودية بالتدريج بحسب مظاهر حقيقة الإنسانية الكمالية الإلهية، المنتهي كمال

ظهورها إلى الصورة الآدمية التي هي أكمل مظاهرها، ولما كانت مظاهر المتقدمة على الصورة الآدمية غير مستعدة لأن يظهر بها وفيها الحقيقة الإنسانية ظهوراً تاماً، كان ظهور أحكام مرتبتها المعبر عنها بالألوهية هناك وبالخلافة هنا أيضاً كذلك، ولا تم ظهورها بآدم عليه السلام، صار لها ظهور وسير وبسط آخر في عرصة العرض الإنساني، ولهذا أشرت في الفص السليماني إلى ما معناه: أن بروز الوجود وأحكامه من الغيب إلى الشهادة كان بالتدريج حتى انتهى الأمر إلى النوع الإنساني، فصار ذلك الظهور على وجه آخر مخصوص، ثم لم يزل يظهر الأمر بسير آخر في مراتب الاعتدال التي يتضمنها عرض النوع الإنساني، فإن الخلافة لم تبسط حكمها تاماً بآدم ـ لقلة وجود المستخلفين عليهم ـ فلم يكن ثمة من تنبسط عليه أحكام مرتبته إلا طائفة يسيرة من ذريته، ولهذا لم تتضمن خلافته مرتبة الرسالة، بل بقيت فيه بالقوة وفيما خلف من ذراريه والمتناسلين منهم بعده إلى زمان نوح عليه السلام الذي هو أول المرسلين.

[5/ 17] ثم نقول: فما برحت أحكام الخلافة من حيثها ومن حيث مرتبة المستخلف يزداد ظهوراً وانبساطاً ـ كالوجود ـ حتى انتهى الأمر إلى داود عليه السلام، فتم بوجوده مرتبة الخلافة وانبسطت أحكامها في الوجود بحسب درجات الأكملية بعد استيفاء ما هو شرط في حصول مقام الكمال، وكمل انبساط الأحكام والصفات المذكورة بابنه سليمان، وقد ورد التنبيه على ذلك في القرآن الكريم، أعني ثبوت الاشتراك بينهما في الحكم والعلم وغير ذلك على ما ذكر في أول الفص، فلينظر هناك، فأشار سبحانه إلى ما منحه ومنح ابنه مما زادا به على من تقدمهما من الخلفاء من العلم وانبساط أحكام الخلافة ونفوذها وعموم التأثير في الخلق.

[6/ 17] ومن جملة ما رجحت به خلافة داود على خلافة آدم: أن حظه من الأسماء على ما صرح به كان علمه بها؛ وأما داود: فتحقق بها علماً وحالاً وعملاً، **فأما علماً**: فقد سبقت الإشارة إلى ذلك، مع أنه لا

يخفى على الألباء أن أعظم الشروط في التحقق بمرتبة الخلافة وأولها وأولاها هو العلم. **وأما تحققه من حيث العمل**: فإخبار النبي ﷺ عنه أنه كان أعبد أهل الأرض، وأما **تحققه بها**، أعني بالأسماء حالاً: فكون الحق سبحانه قدر له تزويج تسعة وتسعين زوجة، ضرب مثال الأسماء الحسنى، ولما أراد أن يتم عنده المائة، مع أن المتمم للمائة هو الاسم الله باعتبار دلالته على الذات والمرتبة.

[17/7] وذلك لما رأى من قوة قابليته لكل ما تشتمل عليه الحضرة، فإن من شأن الكمل أن كل ما هو متعذر الحصول لأحد من الحق، هو عندهم بالنسبة إلى كمال قابليتهم غير متعذر ولا مستحيل، إلى أن يخبرهم الحق بأخبار مخصوصة خارج عن خواص المواد والوسائط، فحينئذٍ يصدقون ربهم ويحكمون باستحالة حصول ذلك الأمر ـ كحال موسى عليه السلام في طلب الرؤية على وجه مخصوص ـ فلما أخبر بتعذر ذلك، تاب وآمن.

[17/8] ولما كان الأمر الذي به تتم مظهرية المائة متعذر الحصول لذاته من حيث ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: 48] لهذا نبهه الحق على ذلك بما أبدى له من حيث الأمثلة التي روعي فيها الأدب التام مع مرتبته، تعظيماً للمرتبة تنبيهاً له، ليعرف أن الله قد أقامه في مرتبة أول من قام بحق أدبها من أقامه فيها، كما قال تعالى أيضاً بلسان البشارة مع الأدب والتعريف: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [صٓ: 26].

[17/9] فلسان الأدب في هذه الآية قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وإلا لكان الأنسب من مقتضى المواجهة له أن يقول: إنك إن ضللت عن سبيل الله فلك عذاب شديد، فخرج من خطاب المواجهة إلى المغايبة ـ معرضاً لا مصرحاً ـ فتنبه وتذكر ما ذكرت لك تعرف رجحان خلافة داود على

خلافة آدم بما نبهت عليه آنفاً وبالحكم بين الناس أيضاً، لأنه ليس في خلافة آدم التصريح بالحكم؛ وأيضاً فإنه حين أعطى الخلافة لم يكن ثمة من الناس من يحكم عليه؛ وأما الجن؛ فلم يكن منهم إلا إبليس الذي أبى أن يسجد له أولاً وأَزَلَّه وزوجته ودلاهما بغرور ثانياً ـ بخلاف داود وسليمان عليهما السلام ـ فإنه نفذ حكمهما في الجن والإنس وغيرهما من الموجودات، فكان الجن والشياطين محكومين لهما بين: ﴿بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ [صٓ: 37 ـ 38] فشتان بين الأمرين.

[17/ 10] ومما يؤيد ما ذكرته من رجحان خلافة داود وسليمان على خلافة آدم وعلو مرتبتهما في العلم ونيل الهمة ما ورد في الحديث الثابت الإسناد: إن الله خير سليمان بين العلم والملك والمال، وفي رواية بدل المال النبوة، فاختار العلم»[1]. فأعطاه الله الملك والمال والنبوة لاختياره العلم. وأما آدم: فإن الله أسجد له الملائكة بأجمعهم وأدخله الجنة وقال له: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: 118، 119] ومع ذلك لما سمع قول إبليس: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: 25] صدقه هو وزوجته وانفعلا لقوله.

[17/ 11] وهذه القضية تشتمل على أمرين مشكلين لم أرَ أحداً تنبه لهما ولا أجابني أحد من أهل العلم الظاهر والباطن عنهما وهو: أنه عليه السلام بعد سجود الملائكة له بأجمعهم ومشاهدة رجحانه عليهم بذلك وتعلم الأسماء والخلافة ووصية الحق له، كيف أقدم على المخالفة وتشوف بقول إبليس إلى أن يكون ملكاً، وكيف لم يعلم أن من دخل جنة المعرفة بلسان الشريعة لم يخرج منها، وأن النشأة الجنانية لا تقبل الكون والفساد لذاتها فهي تقتضي الخلود؟

(1) رواه الديلمي في الفردوس عن أبي هريرة برقم (2957) [2/ 192].

[17/12] فكان هذا الحال يدل دلالة واضحة على أن الجنة التي كان فيها ليست الجنة التي عرضها السموات والأرض والتي عرضها الكرسي الذي هو الفلك الثامن وسقفها عرش الرحمن. فإن تلك الجنة لا تخفى على من دخلها أنها ليست محل الكون والفساد ولا أن يكون نعيمه مؤقتاً ممكن الانقطاع، فإن ذلك المقام يعطي بذاته معرفة ما تقتضيه حقيقته وهو عدم انقطاع نعيمه بموت أو غيره كما قال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: 108] أي غير منقطع ولا متناهٍ، فافهم ما نبهت عليه من غرائب العلوم وغوامضه ترشد.

[17/13] فحالة آدم وحواء عليهما السلام في هذه القضية كحال بني إسرائيل الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: 61] ولهذه المناسبة والمشاركة أردف الحق قصة آدم في سورة البقرة بقصة موسى وبني إسرائيل ـ مع ما بينهما من طول المدة ـ فراعى سبحانه في ذلك المضاهاة في الفعل والحال ـ دون الزمان ـ فافهم سر هذا من أسرار القرآن.

[17/14] فإن القرآن العزيز ورد فيه ذكر جماعة من الأنبياء في مواضع كثيرة وسردت أسماءهم في موضع بترتيب مخصوص، ثم ذكروا في موضع آخر بترتيب مخالف للترتيب الأول بمعنى أنه قدم ذكر من أخر ذكره في الترتيب الأول وأخر من قد كان قدم ذكره من قبل، وذكروا في موضع ثالث ورابع بترتيب غير التراتيب المقدمة هكذا في مواضع شتى مخالف بعضها بعضاً.

[17/15] والسر فيه هو: أنه روعي من موضع ذكرهم بحسب تفاوت مراتبهم ودرجات ما فضل به بعضهم على بعض المشار إليه بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: 253] وتارة روعي في ترتيب ذكرهم تقدمهم وتأخرهم الزماني، وتارة روعي في ترتيب ذكرهم مشاركتهم في الفعل والحال المذكورين في السورة أو القصة، فالأقرب

شبهاً ونسبة يكون هو المقدم في الذكر الأنسب فالأنسب إلى الأمر المذكور. وتارة يراعي فيها الاشتراك في الشرائع وأحكامها، فإن الله تعالى يقول: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾ [المائدة: 48] وقال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۖ﴾ [البقرة: 60] فإذا كثر اتفاق الأحكام المشروعة بين نبيين وثبوت تقدم أحدهما ورجحانه، تلاه في الذكر الأقوى مشاركة له في أحكام شريعته.

[16/ 17] فاعلم ذلك واستقره تجده مطرد الحكم، كما نبهت عليه في أرداف قصة آدم بقصة موسى وبني إسرائيل، وهذه النكتة وإن وقع ذكرها هنا من وجه بالعرض، فإنها مفتاح شريف يفتح به جملة من أسرار ترتيب آي القرآن وقصصه وسوره وآياته، إن تم الاطلاع على أصله ومحتده. فافهم والله الهادي.

(18)

فك ختم الفص اليونسي

[1/ 18] اعلم أن كل نبي وولي ما عدا الكمل منهم فإنه مظهر حقيقة كلية من حقائق العالم والأسماء الإلهية الخصيصة بها وأرواحها الذين هم الملأ الأعلى، على اختلاف مراتبهم ونسبهم من العالم العلوي، وإليه الإشارة بقول النبي ﷺ: **إن آدم في السماء الأولى وعيسى في الثانية ويوسف في الثالثة ويونس في الرابعة وهارون في الخامسة وموسى في السادسة وإبراهيم في السابعة**؛ ومن المستبين أن أرواحهم غير متحيزة، وليس المراد من ذلك إلا التنبيه على قوة نسبتهم من حيث مراتبهم وعلومهم وأحوالهم ومراتب أممهم إلى تلك السماء التي كانت أحوالهم هنا صور أحكامها، أعني أحكام المراتب والسموات، ومن هذا الباب ما يذكره الأكابر من أهل الله في اصطلاحهم بالاتفاق: يأتي من الأولياء من هو على قلب جبرائيل، ومنهم من هو على قلب ميكائيل، ومنهم من هو على قلب إسرافيل ـ على جميعهم السلام ـ ونحو ذلك.

[2/ 18] وإذا تقرر هذا فاعلم: أن سر تسمية شيخنا رضي الله عنه هذه الحكمة بالحكمة النفسية هو من أجل أن يونس كان مظهراً للصفة الكلية التي تشترك فيها النفوس الإنسانية، ومثالها من حيث تدبيرها للأبدان العنصرية وأحواله عليه السلام صور أحكام تلك الصفة الكلية وأمثلتها بحسب ما تقتضيه مرتبته واستعداده.

[3/ 18] وبعد تقديم هذه القاعدة أقول: لما كانت النفوس في الأصل منبعثة عن الأرواح العالية الكلية المسماة عند الحكماء بالعقول، وللنفوس

الإنسانية شبه قوى بتلك الأرواح من وجوه شتى: من جملتها البساطة ودوام البقاء، ظنت أن تعلقها بالأجسام من حيث التدبير والتحكم لا يكسبها تقييداً وتعشقاً، وأنها متى شاءت أعرضت عن التدبيرات بصفة الاستغناء، وكانت كالأرواح العالية التي انبعثت عنها وذهلت عن نزول درجتها عن درجة تلك الأرواح في هذا الأمر وعن عدم استغنائها عن التعلق والتدبير.

[4/ 18] فلما ألفت الأبدان وانصبغت بأحكام الأمزجة حتى أثرت فيها، كما أثرت هي في المزاج وتعشقت بها واشتد تقيدها بصحبة البدن، أراها الحق عجزها وقصورها عن البلوغ إلى درجة من أوجدها الحق بواسطته، ورأت فقرها وتعشقها فرجعت متوجهة إلى الحق بصفة التضرع والابتهال والافتقار الذاتي من الوجه الذي لا واسطة فيه بينها وبين الحق، فأجاب الحق نداءها وأمدها من لدنه بقوة ونور استشرفت به على ما شاء الحق أن يطلعها عليه من حضراته القدسية ولطائف أسراره العلية، فانعكس تعشقها إلى ذلك الجناب الأقدس واتصلت به وحصل لها بذلك الاتصال الرافع لأحكام الوسائط ما أوجب انتظامها في سلك أولي الأيدي والأبصار، وانفتح لها باب كان مسدوداً فصار تدبيرها مطلقاً غير مقيد بصورة بعينها دون صورة، بل حصل لها من القوة والكمال ما تمكنت به من تدبير صور شتى في الوقت الواحد، دون تعشق وتقيد.

[5/ 18] وربما ألبستها العناية عزاً اتفق به أن تقف في مراتب الأرواح العالية وتكون كهي؛ لما رأت من حسن ما تجلى لها من وراء باب الوجه الخاص الذي فتح لها بينها وبين موجدها وما استفادته من ربها من تلك الجهة، وسرى من بركة ما حصنته إلى صورتها التي كانت مقيدة بتدبيرها قوى وأنوار سارية متعدية في الموجودات علواً وسفلاً وصارت حافظة بأحدية جمعها من حيثية تلك الصورة التي كانت مقيدة بتدبيرها صورة الخلاف الواقع والثابت في الموجودات صورة ومعنى، روحاً ومثالاً.

[6/ 18] وإذا فهمت ما أدرجته في هذه المقامات فاعلم: أن يونس

عليه السلام من حيث أحواله المذكورة لنا في الكتاب العزيز مثال ارتباط الروح الإنساني بالبدن، والحوت مثال الروح الحيواني الخصيص به، والسر في كونه حوتاً هو لضعف صفة الحياة فيه، فإن الحوت ليست له نفس سائلة، كذلك حيوانية الإنسان ذات حياة ضعيفة، ولهذا تقبل الموت، بخلاف روحه المفارق، فإن صفاته ثابتة أبدية، واليم مثال عالم العناصر، ووجه شبهه باليم هو أن تراكيب الأمزجة المتكونة من العناصر غير متناهية.

[7/ 18] وأما موجب النداء والإجابة وسر قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: 87] فقد سبقت الإشارة إليه آنفاً عند الكلام على أحوال النفوس المدبرة للأبدان. وأما سر قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: 147] فإنه إشارة إلى أمهات حقائق العالم وقواه وأنه على عدد الأنبياء وهم مائة وأربعة وعشرون ألفاً، فإن كل نبي ووارث من الأولياء مظهر حقيقة كلية من حقائق العالم والأسماء ـ كما أشرت إليه في أول هذا الفص ـ.

[8/ 18] وأما سر قوله تعالى: ﴿لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: 98] فهو مثال ما ذكرته في فص عزير عليه السلام: النفوس الكمل بركة تسري في أبدانهم وقواهم فيحصل لها ضرب من البقاء ولا تنحل صور أبدانهم ـ وإن فارقتها أرواحهم ـ بل يبقى إلى زمان ابتداء انتشاء النشأة الأخراوية، كما قال النبي ﷺ: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام**»[1]، وهذا ما يسر الله تعالى ذكره من أسرار اليونسية وأحواله المذكورة، فتدبره والله الهادي.

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الأهوال، حديث رقم (8681) [4/ 604] ورواه ابن ماجه في السنن، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ، حديث رقم (1636) [1/ 524] ورواه غيرهما.

(19)

فك ختم الفص الأيوبي

[19 /1] اعلم أن في تسمية هذه الحكمة بالحكمة الغيبية سرين كبيرين أنبه عليهما إن شاء الله تعالى، **فالسر الأول** منها: هو أن المحن والبلايا من حيث صورتها مؤلمة بالنسبة إلى جميع الناس غير ملائمة لنفوسهم وطباعهم ولا يصبر عليها إلا من قويت نسبته من العوالم الغيبية وجزم بحسن نتائجها وثمراتها المرضية، لتصديقه الإخبارات الإلهية والنبوية، أو لاطلاعه على العوالم التي وراء الحس، فيهون ذلك عليه الصبر على مضض المحن لما يعلمه أو يرجوه من حسن العاقبة وإجنائه ثمرات ما يقاسيه من المكاره، وعلى كلا التقديرين فالنفع مغيب والعذاب مشهود حاضر.

[19 /2] **والسر الآخر** هو أن الإنسان وإن جزم عن إيمان محقق أو عيان، أن للصبر على المحن ثمرات مرضية، فإنه لا يلزم من ذلك رجوع ما ذهب عنه بعينه فكيف أن يعاد إليه عين ما تلف ومثله معه في الدنيا؟ وكلا السرين تضمنها حال أيوب عليه السلام.

[19 /3] وقد فتحت لك باب هذا المقام فلج فيه إن كنت من أهله، إنك إن ولجت فيه استشرفت على جملة من أسرار التكاليف وأسرار العبادات الشاقة البدنية والنفسانية وفائدة التحريض عليها وسر المجازاة عليها في الآخرة، وفي الدنيا دون الآخرة، وفي الدنيا والآخرة معاً؛ وعرفت الفرق بين المواهب الإلهية الواردة إبتداءً وليس لكسب فيها مدخل وبين ما تنتجه المكاسب في ظاهر الإنسان وباطنه وغير ذلك مما يتعلق بهذا الباب.

[19 /4] ثم اعلم: أن البلاء والمحن التي تلحق بالأنبياء والأكابر من أهل الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام، لكل قسم منها موجب وحكم وثمرة: فتارة

يكون بالنسبة إلى البعض مصاقيل لقلوبهم ومتممات لاستعداداتهم الوجودية المجعولة، ليتهيئوا بتلك الأمور لقبول ما يتم به لهم أذواق مقاماتهم التي حصلوها ولم يكمل لهم التحقيق بها، فيكون تلبسهم بتلك المحن سبباً لاستيفائهم ذوق مقامهم الناقص وترقيهم فيه إلى ذروة سنامه الموجب الاطلاع على ما فيه، فإنه من لم يتكلم على المقام ـ أي مقام كان ـ ولم يترجم عنه بطريق الحصر لأصوله والاستشراف على جملة ما فيه، فإنه إنما يتكلم على ذوقه من ذلك المقام ليس بحاكم عليه ومحيط به، فافهم.

[19 /5] وموجب القسم الثاني هو سبق علم الحق بأن المقام الفلاني سيكون لزيد لا محالة، مع علم الحق أيضاً أن حصول ذلك المقام لمن قدر حصوله له لا بد وأن يكون للكسب فيه مدخل، فلا تتمحض الموهبة الذاتية فيه، فإن ساعد القدر الإلهي والتوفيق بارتكاب الأعمال التي هي شروط في حصول ذلك المقام، كان ذلك، وإن لم يساعد القدر ولم يف العمر باستيفاء ذلك المشترط ارتكابها للتحقق بذلك المقام، أرسل الله المحن على صاحب المقام ورزقه الرضاء بها والصبر عليها وحبس النفس فيها عن الشكوى إلى غير الله والاستعانة في رفعها بسواه، فكان ذلك كله عوضاً عن تلك الأعمال المشترط فيها ذكرنا وقائمة مقامها، فحصل للمقام المقدر حصوله عليها.

[19 /6] فإن الصبر والرضا والإخلاص لله ـ دون الالتجاء إلى غيره وطلب المعونة من سواه ـ كلها أعمال باطنة يسري حكمها في الأحوال الظاهرة ـ كالنية ونحوها ـ فاعلم ذلك وتدبر ما ذكرت لك تعرف كثيراً من أسرار محن أيوب عليه السلام وما ابتلي به وثمراته.

[19 /7] وأما موجب القسم الثالث فهو سعة مرآة حقائق الأكابر المضاهية للحضرة الإلهية المترجم عنها بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: 21] فمن كانت مرآة حقيقته أوسع، كان قبوله مما في الحضرة وحظه منها أوفر، فكما أن حظهم مما يعطي السعادة ويثمر

مزيد القرب من الحق سبحانه والاحتظاء بعطاياه الاختصاصية أوفر، فكذلك قبول ما لا يلائم الطبع والمزاج العنصري الذي به تمت الجمعية وصحت المضاهاة المذكورة يكون أكثر. فافهم هذا، قد أوضحت لك أسرار المحن والبلايا المختصة بالأكابر محصورة الأقسام.

[8/ 19] وأما الخصيصة بعموم المؤمنين: فهي وإن كانت من بعض فروع القسم الأول، لكن أخبرت الشريعة بأحكامها وثمراتها، فلا حاجة إلى بسط القول في ذلك، لا سيما بعد استيفاء بيان ما خفي من أسرار الحال الأيوبي عليه السلام لمن تذكر ما ذكرنا.

(20)

فك ختم الفص اليحيوي

[20 /1] اعلم أن موجب تسمية هذه الحكمة بالحكمة الجلالية أمران: **أحدهما** يختص بحال يحيى عليه السلام والآخر يختص بذاته وصفته واسمه، فلنبدأ بذكر ما يختص بذاته وصفته واسمه فنقول: قد ثبت أن الحق سبحانه ذو الجلال والإكرام، ومن أسمائه الجليل، وليس في الوجود موجود يستهلك كثرة صفاته وأسمائه في وحدة ذاته بحيث يضمحل لذاتها كل عدد ومعدود إلا الحق سبحانه، فمن عنايته بشأن يحيى عليه السلام ـ وإن جعل له من هذا الكمال نصيباً ـ فأنزله منزلة نفسه، فأدرج اسمه وصفته في وحدة ذاته، ولم يفعل ذلك بغيره، ممن وجد قبله.

[20 /2] فشرفه بذلك وبالأولية التي هي من أمهات نعوت الحق وشرفه أيضاً بأن آتاه الحكم صبياً وبالبشرى بحسن الخاتمة هنا وفيما بعد الموت والمحشر بقوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: 15] وهذا من نوع ما نبهت عليه في فك ختم الفص الصالحي في الحاشية من أن كل ما تكون نسبته إلى الحق من حيث الأسباب الباطنة أقوى، كانت إضافته إلى الحق أقوى وأتم.

[20 /3] وحصول الولد بين المرأة العاقرة والشيخ الفاني يبعد إضافته إلى الأسباب المعتادة الظاهرة، وكان صمت أبيه الثلاثة الأيام وأمر الحق له بالذكر والتسبيح وأمره قومه أيضاً بالتسبيح بكرةً وعشياً سبباً لتكميل استعداده الذي قبل من الحق الحكم والحنان والزكوة في حال صباه، كما كان صمت

مريم أحد الأسباب المعينة بإذن الله في نطق عيسى، لأن مدار أمر الوجود على الظهور والبطون، فما نقص من الباطن أخذه الظاهر وتقوى به وبالعكس أيضاً، فافهم تصب إن شاء الله.

[20/4] وأيضاً فليعلم أن الهمة من الأسباب الباطنية، وأول الأسباب في وجود يحيى استحسان الله حال مريم سلام الله عليها، فتوجه بهمته ملتجئاً إلى ربه بدعائه، فاستجاب له ربه ورزقه يحيى، ولولا وجود أبيه زكريا وإصلاح الحق زوجته له لخرج يحيى مثل عيسى يتكلم بالحكمة في المهد، لكن لما كان حكم الطبيعة في مثل هذا الأمر أقوى من حكم الروحانية، وكان الأمر في قضية عيسى بالعكس، تأخر ذلك إلى عهد الصبي.

[20/5] والأمر الآخر من الأمرين المشار إليهما هو أنه ينبغي لك أن تعلم أن الصفات تنقسم بنحو من القسمة إلى قسمين: صفات ذاتية وصفات حالية، فالصفات الذاتية واضحة عند الأكثرين، وأما الصفات الحالية: كالغضب والرضاء والقبض والبسط ونحو ذلك.

[20/6] وهذه الصفات الحالية في اصطلاح أهل طريق الله ترجع إلى ثلاثة أصول: **أحدها مقام الجلال والآخر مقام الجمال والآخر مقام الكمال**، فلمقام الجلال الهيبة والقبض والخشية والورع والتقى ونحو ذلك، ولمقام الجمال الرجاء والبسط والأنس واللطف والرحمة والنعيم والإحسان ونحو ذلك، ولمقام الكمال الحيطة بالجلال والجمال وتوابعهما من الأحوال والجمع بين كل ذلك وسواه.

[20/7] وكان الغالب على ظاهر يحيى الأحوال الجلالية، فلذلك سمي شيخنا رضي الله عنه حكمته بالحكمة الجلالية؛ وورد في الحديث ما هذا معناه: أن يحيى وعيسى عليهما السلام تفاوضا، فقال يحيى لعيسى كالمعاتب له ـ لبسطه ـ: كأنك قد أمنت مكر الله وعذابه؟ فقال له عيسى: كأنك آيست من فضل الله ورحمته؟ فأوحى الله إليهما: إن أحبكما إليَّ

أحسنكما ظناً بي[1]. فهذا ما يسر الله ذكره من التنبيه على سر الحكمة اليحيوية وحاله وصفته، فتدبر ترشد إن شاء الله.

(1) أورده البروسوي في روح البيان، سورة مريم، آية 32.

(21)

فك ختم الفص الزكرياوي

[21 /1] اعلم أن سر وصف حكمته بالحكمة المالكية من أجل أن الغالب على أحواله كان حكم الاسم المالك، لأن الملك الشدة والمليك الشديد، وأن الله ذو القوة المتين، فأيده الله بقوة سرت في همته وتوجهه، فأثمرت الإجابة وحصول المراد، وقد نبهتك على أن الهمة من الأسباب الباطنة وأشرت قبل ذلك إلى أن الأسباب الباطنة أقوى حكماً من الأسباب الظاهرة المعتادة وأحق نسبة إلى الحق، ولهذا كان أهل عالم الأمر أتم قوة من أهل عالم الخلق وأعظم تأثيراً.

[21 /2] وأيضاً فليتذكر قصة: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: 90] فإنه لولا إمداد الحق زكريا وزوجته بقوة غيبية ربانية خارجة عن الأسباب المعتادة ما صلحت زوجته ولا تيسر لها الحمل منه؛ ولهذا لما بشره الحق بيحيى استغرب ذلك وقال: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: 8] وأجابه الحق بقوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: 9] أي: وإن كان حصول مثل هذا من جهة الأسباب الظاهرة صعباً ـ بل متعذراً ـ فإنه بالنسبة إلى ذي القدرة التامة والقوة والمتانة هين. ثم إنه كما سرت تلك القوة من الحق في زكريا وزوجته تعدت منها إلى يحيى، ولذلك قال له الحق سبحانه: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ الآية [مريم: 12] فاعلم ذلك، فهذا سر الفص الزكرياوي.

(22)

فك ختم الفص الإلياسي

[1/ 22] إنما أضيفت هذه الحكمة بالصفة الإيناسية من أجل الصفة الذاتية التي جبل الله بها إلياس حتى ناسب بها الملائكة وناسب بها الأناسي، فثبت له الأنس مع الطائفتين فكانوا يأنسون به ويجلسون إليه، وكان هو أيضاً أنيسهم وجليسهم، والسر فيما ذكرنا الذي لا يطلع عليه إلا الندر من عباد اللّه هو أن بين قوى الأرواح العالية والقوى المزاجية الإنسانية امتزاجات على أنحاء يحدث بينهما فعل وانفعال وغلبة ومغلوبية ينتهي إلى كيفيات معقولة شبيهة بالامتحان الواقعة في هذا العالم، مثل استحالة الماء هواءً والهواء ناراً ونحو ذلك.

[2/ 22] فمن الأناسي المتروحنين من ينتهي في تروحنه إلى الرتبة الملكية فتستهلك قواه المزاجية الطبيعية في قوى روحانية ثابتة الحكم بحسب استيلاء سلطنة تلك القوى الروحانية على القوى الطبيعية، كصورة الاستحالات في عالمنا هذا، وهذا وصف بعض من هذا شأنه، وظهور من هذا شأنه في هذا العالم إنما هو كظهور الملك هنا بشراً سوياً، والرائي لمن هذا شأنه إنما يراه بموجب حكم إحدى المناسبات الخمس التي سبقت الإشارة إليها، فإن ثبتت المناسبة بين الرائي والمرئي من حيث الذات: يراه في صورته الأصلية التي كان عليها قبل تروحنه، وإن لم تثبت المناسبة بينهما من حيث الذات، كانت رؤيته له بحسب المرتبة التي تجمعها في الأصل أو بحسب الصفة التي يشتركان فيها، أو الفعل أو الحال، وكيفية الصورة المرئية يكون بحسب كمال الصفة المشتركة فيها ونقصانها، وكذلك الفعل والحال.

[3/ 22] وأما الاشتراك في المرتبة: فيتفاوت الأمر فيها بحسب تفاوت حظوظها منها، وهذا شأن الخضر عليه السلام، وعكس ذلك شأن عيسى عليه السلام، فإن نسبته ملكية، فظهوره في الصورة الطبيعية هو من أجل أمه التي كانت محل الإلقاء والنفخ؛ لما بينا من أن كينونة كل شيء في شيء إنما يكون بحسب المحل، سواء كان المحل معنوياً أو صورياً. واذكر ما أشار الحق سبحانه إليه في كتابه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4] فأدخل نفسه مع عباده في الأمكنة، مع أنه منزه عن الزمان والمكان. وقوله ﷺ: «إن العبد إذا قام يصلي فإن الله ينصب له وجهه تلقاه»[1]، ونحو ذلك مما تكرر ذكره في الكتاب والسُنَّة. وتذكر أيضاً ما اتفق عليه المحققون من أن تجلى الحق لمن تجلى له إنما يكون بحسب المتجلى له، لا بحسبه؛ وتذكر أيضاً شأن المرأة مع ما ينطبع فيها.

[4/ 22] وأما الياس عليه السلام فإنه لما كانت الممازجة الحاصلة بين القوة الروحانية والطبيعية قبل تروحنه واقعة على وجه قريب من التساوي ناسب الملأ الأعلى والأسفل فتأتى له الإنس بهما، والجمع بين صفتيهما فهو كالبرزخ بين النشأة الملكية والنشأة الإنسانية، فلهذا كان جامعاً بين أحكامهما.

(1) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادرومراجع.

(23)

فك ختم الفص اللقماني

[1/ 23] اعلم أن سر أقران هذه الحكمة بالصفة الإحسانية هو من أجل أن للإحسان ثلاث مراتب، بين أحكام المرتبة الأولى وبين أحكام الحكمة اتحاد واشتراك، فهما بين ذلك الوجه كالأخوين، فإن حكم الأول ومقتضاه هو فعل ما ينبغي لما ينبغي كما ينبغي ومقتضى الحكمة وضع الشيء في موضعه على الوجه الأوفق وضبط الحكيم نفسه، ومن يقدر على ضبطه من التصرفات الغير المرضية والأقوال الغير المفيدة والآراء والتصورات الفاسدة والوصايا وجميع النصائح والآداب المعلمة المتعلمة، داخلة في أحكام هذه المرتبة الإحسانية الأولى المختصة بهذه الحكمة.

[2/ 23] وأما المرتبة الثانية: فهي التي سأل عنها جبرائيل النبي ﷺ بقوله: «ما الإحسان؟ فأجابه ﷺ: **الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه**»[1]، وأنه عبارة عن استحضار الحق على نحو ما وصف نفسه به في كتبه وعلى ألسنة رسله عليهم السلام دون مزج ذلك بشيء من التأويلات السخيفة بمجرد الاستبعاد وقصور إدراك العقل النظري عن فهم مراد الله من إخباراته وجنوحاً إلى الأقيسة وتوهم التشبيه والاشتراك في الصفات.

[3/ 23] والمرتبة الثالثة الإحسانية تختص على المشاهدة دون كأن، كما قيل لبعض الأكابر: هل رأيت ربك؟ فقال: لم أعبد رباً لم أره، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «**وجعلت قرة عيني في الصلوة**»[2]، وبقوله ﷺ:

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب النكاح، حديث رقم (2676) [2/ 174] ورواه البيهقي في السنن الكبرى، باب الرغبة في النكاح، حديث رقم (13232) [7/ 78] ورواه غيرهما.

«**الصلوة نور**»[1]؛ ولهذا كان إذا دخل الصلوة كان ينظر من ورائه مثل ما ينظر من بين يديه، ولم يرد إن هذا الحال كان مستصحباً في غير الصلوة، وإلى هذا المعنى الإشارة في الآية التي هي في سورة لقمان وهي: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [لقمان: 22] أي: ومن ينقاد برمة ذاته إلى الله وهو مشاهد ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: 22].

[4/ 23] وهكذا فليعلم أن لكل صفة من هذه الصفات ثلاث مراتب: أولى ووسطى وعليا، وتدبر قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 93] وتنبه بختم الآية بذكر الإحسان وإقران محبة الحق بالمحسنين، وتذكر ما سلف ذكره في مراتب الإحسان ولا تقتصر في فهم كلام الحق على ما ورد في أسباب نزول هذه الآية من أنها وردت جواباً للصحابة لما قال بعضهم: كيف حال من مات قبل تحريم الخمر وكانوا يشربونها؟ فإن هذه الآية وإن تضمنت جوابهم فإن ذلك لا يلزم منه أن لا يكون لها دلالة على أمور أخر، وتذكر قوله ﷺ: «**إن لكل آية من القرآن ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً. . . إلى سبعة أبطن**»[2]. وفي رواية: سبعين بطناً. فتفهم تصب.

---

(1) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب فرض الطهور. . ، حديث رقم (186) [1/ 42] ورواه الطبراني في الكبير برقم (309) [1/ 141] ورواه غيرهما.

(2) أورده الغزالي في الإحياء وعزاه إلى ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه (إحياء علوم الدين، الفصل الثاني في وجه التدريج إلى الإرشاد. . [1/ 99].

(24)

فك ختم الفص الهاروني

[24 /1] اعلم أن الإمامة المذكورة في هذا الموضع ومثله فإنما تذكر باعتبار أنها لقب من ألقاب الخلافة ولها التحكم والتقدم، وهي تنقسم من وجه إلى إمامة لا واسطة بينها وبين الحضرة الإلاهية وإلى إمامة ثابتة بالواسطة؛ والخالية عن الواسطة قد تكون مطلقة عامة الحكم في الوجود وقد تكون مقيدة، بخلاف الإمامة الثابتة بالواسطة، فإنها لا تكون إلا مقيدة، والتعبير عن الإمامة الخالية عن الواسطة مثل قوله للخليل عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: 124] والتي بالواسطة مثل استخلاف موسى عليه السلام هارون على قومه حين قال له: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [الأعراف: 142] ومثل ما قيل في حق أبي بكر أنه خليفة رسول الله ﷺ.

[24 /2] وهذا بخلاف خلافة المهدي عليه السلام، فإن رسول الله ﷺ لم يضف خلافته إليه، بل سماه خليفة الله وقال: «**إذا رأيتم الرايات السود تقبل من أرض خراسان فأتوها ولو حبواً، فإن فيها خليفة الله المهدي**»[1]. ثم قال: «**يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً**»[2]. فأخبر بعموم خلافته وحكمه وأنه خليفة الله بدون واسطة. فافهم.

[24 /3] ثم نرجع إلى بيان إمامة هارون وسر إضافة حكمته إلى الإمامة، فنقول: كل رسول بعث بالسيف فهو خليفة من خلفاء الحق وأنه

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم (8531) [4/ 547].
(2) رواه الطبراني في الكبير برقم (10214) [10/ 133].

من أولي العزم، فإن كثيراً من الناس لم يعرفوا معنى أولى العزم، هم الذين يبلغون رسالات ويلزمون من أرسلوا إليهم بالإيمان، فإن أبوا قاتلوهم، بخلاف الرسالة إذا تقربوها الرسول لم يؤمر بالقتال، فإنه ما عليه إلا البلاغ، كما كان الأمر في أول عهد نبينا ﷺ المنبه عليه في سورة قل يا أيها الكافرون وفي قوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [آل عمران: 20] وفي قوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29] وأمثال ذلك مما تكرر ذكره ـ بخلاف الحال فيما بعد ـ فإنه ورد الأمر بالقتال وانسحب الحكم وانبسط على الأموال والمهج، فنزل: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: 36] ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: 91] ونحو ذلك.

[4/ 24] وإذا وضح هذا فأقول: لا خلاف في أن موسى وهارون عليهما السلام بعثا بالسيف، فهما من خلفاء الحق الجامعين بين الرسالة والخلافة، فهارون له الإمامة التي واسطة بينه وبين الحق فيها، وله الإمامة بالواسطة من جهة استخلاف أخيه إياه على قومه، فجمع بين قسمي الإمامة فقويت نسبته إليها، فلذلك أضيفت حكمته إلى الإمامة دون غيرها من الصفات. فاعلم ذلك، والله المرشد.

(25)

فك ختم الفص الموسوي

[25 /1] اعلم أن سر إضافة هذه الحكمة إلى الصفة العلوية هو من أجل علو مرتبة موسى عليه السلام ورجحانه على كثير من الرسل بأمور أربعة: **أحدها** أخذه عن الله بدون واسطة ملك وغيره.

[25 /2] **والثاني** كتابة الحق له التوراة بيده، فإن كتابة التوراة أحد الأمور التي باشرها الحق بنفسه دون واسطة، على ما أخبرنا به النبي ﷺ في تعيين ما باشره الحق بنفسه فقال: «**إن الله كتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وخلق جنة عدن بيده وخلق آدم بيديه**»[1].

[25 /3] **الثالث** قرب نسبته من مقام الجمعية التي خص بها نبينا ﷺ المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: 145] وباعتبار الحق به لما وفر حظه من عطايا اسمه الظاهر، أراد أن يريه طرفاً من أحكام الاسم الباطن للجمع بين الطرفين ـ ولو من بعض الوجوه ـ.

[25 /4] فنبهه على شرف الخضر عليه السلام وشوقه إلى لقائه، ثم أذن له في المشي إليه وجمع بينه وبينه فصحبه حتى رأى نموذجاً من أحكام

---

(1) هذا النص هو مجموع عدة أحاديث نبوية شريفة هي: عن وهب بن منبه رضي اللَّه عنه أن اللَّه تبارك وتعالى اسمه كتب التوراة بيده فيها عشر كلمات أمره بهن. . . «رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول [4/ 19] بلفظ: إن اللَّه خلق جنة عدن بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضة» الحديث. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (ج 10 / ص 397). وعن قتادة قال: قال كعب: إن اللَّه تعالى خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون رواه ابن المبارك في الزهد (ج 1 / ص 512).

الإرادة، فعلم الفرق بينها وبين أحكام الأمر، غير أنه غلبت عليه صبغة التشريع وحالها، فلم يصبر كما قال ﷺ: «**رحمة الله علينا وعلى موسى، ليته صبر حتى يقص علينا من أنبائهما**»(1). وفي رواية أخرى متفق على صحتها أيضاً: «**لو صبر لرأى العجب ولكن أخذته من صاحبه ذمامة**»(2). . . الحديث.

[5/ 25] وعلى الجملة فإنه لو لم يكن من الفائدة في اجتماع موسى عليه السلام بالخصر إلا علمه بأن العلم الذي كان حصل له وكان يراه الغاية وأن ليس بعده ما هو أشرف منه بما أراه الحق: إن لله وراء ما أعطاه من العلم علوماً وأسراراً يهبهما لمن يشاء من عباده، فلم يبق له بعد ذلك وقوف عند الغاية، لكان كافياً.

[6/ 25] وأما الأمر الرابع الذي ثبت به رجحانه على كثير من الرسل فأخبار نبينا ﷺ في حديث القيامة حال عرض الأمم عليه ﷺ أنه لم ير أمة نبي من الأنبياء أكثر من أمة موسى، وقوله ﷺ أيضاً في حديث اليهودي لما قال: والذي اصطفى موسى على البشر ولطم الصحابي له، وقوله: تقول هذا ورسول الله بين أظهرنا؟ فلما اشتكى اليهودي إلى رسول الله ﷺ قال: لا تفضلوني على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش فلا أدري أجوزي بصعقة الطور أو كان ممن استثنى اللّه تعالى(3).

---

(1) روى نحوه الترمذي في السنن، باب ومن سورة الكهف، حديث رقم (3149) [5/ 309] ورواه ابن ماجة في السنن، كتاب الفتن، حديث رقم (3929) [2/ 1295] ورواه غيرهما.

(2) رواه بنحوه مسلم في صحيحه، باب من فضائل الخضر عليه السلام، حديث رقم (2380) [4/ 1850] ورواه النسائي في السنن الكبرى، قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: 62] حديث رقم (11307) [6/ 387].

(3) رواه البخاري في صحيحه، باب ما يذكر في الإشخاص و. . . ، حديث رقم (2279) [2/ 849] ونصه عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال بينما رسول اللّه ﷺ جالس جاء يهودي فقال يا أبا القاسم ضرب وجهي رجل من أصحابك فقال: من؟ قال: رجل من الأنصار، قال: ادعوه، فقال: أضربته؟ قال: سمعته بالسوق يحلف والذي اصطفى موسى =

[7/ 25] فهذا بعض ما أعرفه من كمالاته الموجبة إضافة حكمته إلى الصفة العلوية، وسأذكر في شرح الحديث الذي يتضمن ذكر قصة اجتماعه مع الخضر عليه السلام وما جرى بينهما وما تتضمنه تلك القصة من الأسرار الربانية والعلوم الغيبية وفي شرح الحديث المتضمن ذكر موته واتيان ملك الموت وفقأ عينه، وما أخبر في ذلك ما يسر الحق ذكره وشاء بيانه، واللّٰه يقول الحق.

= على البشر قلت أيْ خبيث، على محمد ﷺ فأخذتني غضبة ضربت وجهه فقال النبي ﷺ لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقة الأولى.

(26)

فك ختم الفص الخالدي

[1/ 26] اعلم ان للاسم الصمد معنيين: **أحدهما** باعتبار ان الصمد هو الذي لا جوف له، **والآخر** هو بمعنى القصد والالتجاء، والمراد هنا معنى القصد والالتجاء، والسر فيه أن خالداً لم يظهر حكم نبوته مع قومه في الحس ـ لمخالفتهم إياه ـ فأوصاهم ان يقصدوا قبره بعد موته بسنة، فإذا مر بهم قطيع من الغنم فيه حمار مقطوع الذنب نبشوه من قبره فيخبرهم بما شاء الحق فيما أطلعه عليه، فلم يُمَكّن بنوه من ذلك فلم تظهر أحكام نبوته، فكانت نبوته برزخية ـ كما أشار إليه شيخنا رضي اللّٰه عنه ـ وتفصيل قصته مذكورة في الحديث والأخبار، ولما لم يظهر أحكام نبوته في هذا الموطن، لم يعتبره نبينا ﷺ، لذلك كان يقول: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، فإنه ليس بيني وبينه نبي»[1]. فاعلم ذلك، واللّٰه المرشد.

---

(1) رواه بنحوه الحاكم في المستدرك، ذكر نبي اللّٰه وروحه عيسى. . ، حديث رقم (4153) [2/ 648] ورواه بلفظه ابن أبي شيبة في المصنف، ما ذكر في فتنة الدجال، حديث رقم (37525) [7/ 498] ورواه غيرهما.

(27)

فك ختم الفص المحمدي

[27/1] لقد لقب شيخنا رضي اللَّه عنه هذه الحكمة بالحكمة الكلية والحكمة الفردية، ولكل واحد من اللقبين سر ستعرفه من هذه القاعدة المنبه على سر الكمال المحمدي ومحتده وسر جمعيته وختميته ونسبة حظوظ الأنبياء وآياتهم إلى آياته وحظه من الحق، وبهذه القاعدة أختم الكلام على ختوم هذه الفصوص إن شاء اللَّه تعالى.

[27/2] فأقول: اعلم أن كل شيء فإنه مظهر من مظاهر الحق، لكن من جهة حيثية مخصوصة واعتبار معين، فيتعين للحق من حيث ذلك الاعتبار وتلك الحيثية بما يوجد بهما من الممكنات اسم من شأنه ان لا يستند ذلك الموجود إلى الحق إلا من حيث ذلك الاعتبار وتلك الحيثية، وهكذا هو شأن كل موجود مع الحق، غير أن الفرق بين الأنبياء والأكابر من أهل اللَّه وغيرهم: أن الأنبياء والأكابر مظاهر الأسماء الكلية التي نسبتها إلى الأسماء التي يستند إليها بقية الموجودات، وعموم الناس، نسبة الأجناس والأنواع إلى الأشخاص، ثم كما أنه بين الأجناس والأنواع تفاوت في الحكم والحيطة، كذلك هو الأمر في مقام المفاضلة بين الأنبياء والأولياء، وإليه الإشارة بقوله ﷺ في حديث القيامة: أنه يجيء النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجلان، والنبي ومعه الرجل الواحد، والنبي وليس معه أحد[1].

(1) رواه أحمد في المسند عن عبد اللَّه بن عباس، برقم (2448) [1/ 271] ونصه ابن عباس عن النبي ﷺ قال عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلين والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فقلت هذه أمتي فقيل هذا موسى وقومه ولكن =

[27/ 3] والسر فيما أشرت إليه هو من أجل أن كل نبي وولي ما خلا نبينا ﷺ والكمل من ورثته إنما يستند إلى الحق ويرتبط به من جهة حيثية معينة واعتبار مخصوص يسمى اسماً من أسماء الحق، وذلك أن الحق من حيث إطلاق ذاته وصرافة وحدته ووحدة فيضه الذاتي لا يرتبط به شيء ولا يستند إليه موجود ما من الموجودات ـ كما سبقت الإشارة إلى ذلك غير مرة ـ وقصارى الأكابر من أهل الله أن ينتهي ارتباطهم بالحق صعداً إلى التعين الأول، التالي للأحدية الذاتية الجامع للتعينات كلها المضافة إلى الحق باعتبار وحدانيته من حيث إنها مشرع الصفات والأسماء، ويسميها بعضهم بأحكام الوجوب التي هي نتائج الحيثيات والاعتبارات.

[27/ 4] والمضافة أيضاً إلى مرتبة الإمكان من حيث أحكام المعلومات الممكنة المعددة بتقيداتها الإمكانية المتكثرة واستعداداتها المتفاوتة المختلفة للوجود الواحد الفائض من الحق بالوجود الذاتي المطلق الذي لا يتعين له موجب بتحققه أحد من الأنبياء والأولياء إلا الكمل منهم.

[27/ 5] وشأن نبينا ﷺ والكمل من ورثته مع التعين الأول الذي قلت إنه مشرع الصفات والأسماء مخالف لشأن غيرهم، فإن هذا التعين ليس هو غايتهم من كل وجه في معرفة الحق واستنادهم إليه، بل هم متفردون بحال يخصهم لا يعرفه بعد الحق سواهم ولا يذكرونه لأحد إلا لمن اطلعوا على أن ذلك الشخص لا بد له أن يصير إنساناً كاملاً، فينبهونه على هذا ومثله تربية له،

= انظر إلى الأفق فإذا سواد عظيم ثم قيل انظر إلى هذا الجانب الآخر فإذا سواد عظيم فقيل هذه أُمتك ومعهم سبعوم ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض النبي ﷺ فدخل فخاض القوم في ذلك فقالوا من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم لعلهم الذين صحبوا النبي ﷺ وقال بعضهم لعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يُشركوا باللّه شيئاً قط وذكروا أشياء فخرج إليهم النبي ﷺ فقال ما هذا الذي كنتم تخوضون فيه فأخبروه بمقالتهم فقال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن الأسدي فقال أنا منهم يا رسول اللّه فقال أنت منهم ثم قام الآخر فقال أنا منهم يا رسول اللّه فقال رسول اللّه ﷺ سبقك بها عكاشة.

مع أن هذا أيضاً إنما يمكن وقوعه من كامل مكمل مقدر له تربية كامل مكمل على يديه وتربيته، وهذا هو أكمل شؤون الحق لكونه أكمل ما ظهر بإيجاده من أنشاه على صورة حضرته واستخلفه على خليقته، فافهم.

[27 /6] ثم أقول في إتمام ما التزمت كشف سره وبيانه: وقد أشرت فيما مر أن كل نبي هو مظهر اسم من أسماء الحق، وأن نبوته ورسالته إنما تتعين وتستند إلى الحق من حيثية ذلك الاسم.

[27 /7] فاعلم أيضاً أن آيات كل نبي، متعددة كانت الآيات أو واحدة، فإنها عبارة عن أحكام الحق الاسم الذي تستند إليه رسالته ونبوته، وهذا سر من أطلعه الله عليه عرف سبب تفاوت درجات الأنبياء والأولياء ومراتبهم في الولاية والنبوة والرسالة، وسر قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: 253] وأن تلك المفاضلة وإن ثبتت على أنحاء فليست من حيث نفس الرسالة، كما قال: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: 285] في صحة استنادها إلى الحق لوحدة الرسالة من حيث حقيقتها، وإنما التفاوت في مشرعها واستنادها إلى أي صفة أو اسم يستند من صفات الحق وأسمائه ولا خفاء في تفاوت مراتب الصفات والأسماء في سعة الحكم والحيطة والتعلق وقوة التأثير ـ كما أشرت إليه في غير ما موضع ـ ونبهت على أن الخالق والبارىء والمصور والقابض والباسط وأمثالها كالسدنة للاسم القادر، وتأثير القادر مع إحاطته بما ذكرنا من الأسماء فإنه تابع للمريد ـ كتبعية المريد للعالم ـ.

[27 /8] فمراتب الأسماء ـ كما نهت عليها ـ متفاوتة، فبعضها كالأجناس وبعضها كالأنواع وبعضها كالأشخاص ـ على نحو ما مر ـ ومتى فهمت هذه القاعدة واستحضرتها: عرفت أن كل نبي أتى بآية تختص بأصل من أصول العالم، فإن استناد نبوته إلى الحق ثابت من حيثية الاسم الذي يستند إليه ذلك الأصل، كاختصاص نوح عليه السلام في الماء وإبراهيم عليه السلام بعمارة الكعبة وبالنار وبشهود كيفية التركيب المطلق

الكلي العنصري، فإنه يفضل غيره بسعة الدائرة والحكم، لقرب نسبته من حضرة الجمعية الإحاطية التي انفرد بها نبينا ﷺ، فالأقرب نسبة إلى مقام جمعيته، أعلا نبوة وأتم حيطة.

[27/9] وتدبر أيضاً أحكام نبوة موسى عليه السلام وآياته كالنار والعصا والشجر والماء والحجر الذي انفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وسر انتهاء آياته في العدد التسع التي هي منتهى بسائط الأعداد بخلاف هود عليه السلام، الذي كانت آيته الريح فقط.

[27/10] وانظر اختصاص نبينا ﷺ بالكلام وبعموم رسالته وبعثته وبكونه جعلت له الأرض مسجداً وترابها طهوراً؛ وبانشقاق القمر وبكونه أوتي علم الأولين والآخرين وبالختمية ونحو ذلك، واتصال حكم شريعته بالقيامة.

[27/11] واعلم أني لو شرعت في إيضاح هذه الأسرار لطال الكلام، ولكن سأذكر نموذجاً ترقى به بعد تأييد الله وتوفيقه إلى الاطلاع على ما لم تعهده من ذوق أحد من المتقدمين ولا لعمري سطر في كتاب، والحمد لله المنعم. ولنبدأ بإذن الله بذكر سر آية نوح عليه السلام الذي هو أول المرسلين وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، ونختم عن ختم الله به نبوة التشريع ورسالة محمد ﷺ.

[27/12] فأقول أولاً: قد اتفق المحققون من أهل الله أن اللبن والماء والعسل والخمر مظاهر علوم الوهب، وتأييد كشفهم واتفاقهم من حيث الظاهر بالإخبارات النبوية الصحيحة والآثار الثابتة الأسانيد المتكررة الذكر في السنن وفي تعبير الرؤيا وفي أحاديث الحوض والأسرار وغير ذلك ـ مع التجارب المتكررة المذكورة في الوقائع ـ.

[27/13] وإذا تقرر هذا فاعلم: أن مبدأ أحكام الله في خلقه وموجب ارتباطهم به ومشرع تعلقه بهم إنما هو علمه الأزلي الذاتي المتعينة صور المعلومات فيه أزلاً وأبداً على وتيرة واحدة، وأنه السبب الأول في

إيجاد ما أوجده الله، وقضاؤه سبحانه وقدره تابعان لعلمه، فتعلق علمه بالمعلومات ثابت بحسب ما تقتضيه حقائقها، لأن تعلق كل علم بكل معلوم تابع للمعلوم ـ كما سبقت الإشارة إليه غير مرة ـ ولما كانت المبدئية في الحكم على الخلق والتعلق بهم إنما تثبت بالعلم وكان الماء مظهراً للعلم، لزم من حيث كمال الحكمة الإلهية أن يكون أول آية المرسلين الآتي بصورة حكم الحق في خلقه بموجب علمه الماء. فهذا سر آية نوح عليه السلام.

[27 /14] ولما كانت صفة الكلام صورة من صور العلم ونسبة من نسبه وحصة منه، كيف قلت وهي «كن» وبها انفتح باب تأثير الحق في الخلق، فظهرت الموجودات من العلم إلى العين على اختلاف أجناسها وأنواعها وأشخاصها واستمرار آثارها ـ دنيا وآخرة ـ كانت آية نبينا ﷺ الكلام، وكما عم حكم الكلام كل ما قدر الله تعالى وجوده من المعلومات في هذا العالم وحده بقوله للقلم الأعلى: «أكتب علمي في خلقي إلى يوم القيامة»(1)، كذلك عم حكم شريعته جميع الخلق والشرائع واتصل بالآخرة، بخلاف غيره من الأنبياء، فإن رسالاتهم وشرائعهم جزئية مقيدة متناهية الحكم، ولعموم حكم شريعته جعلت الأرض كلها مسجداً له ولأمته وترابها طهوراً، واندرجت في أحكام رسالته رسالة من مضى من الرسل ومن بقي منهم كعيسى والياس عليهما السلام، وكذلك الأمر في نبوته التي يدخل فيها الخضر عليه السلام، هذا وإن اختلف قوم محجوبون في الاعتراف بنبوة الخضر عليه السلام، فإن أكابر المحققين لا خلاف بينهم في ذلك.

[27 /15] وأما سر انشقاق القمر له وظهوره بصورة التصرف فيه فهو: إن فلك القمر وإن كان أصغر الأفلاك من حيث الجرم، فإنه أجمعها من حيث الحكم، لأن فيه تجتمع قوى سائر السموات وتوجهات الملائكة، ثم ينبث

---

(1) غرواه أبو الشيخ في العظمة برقم (32) [2/ 588] ونصه عنده: عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما قال: «خلق اللّٰه عز وجل اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش، اكتب علمي في خلقي، فجرى إلى ما هو كائن إلى يوم القيامة».

منه ويتوزع على هذا العالم وأهله، ولهذا كانت هذه السماء سماء الخلافة فظهر لأولي الأبصار حال اطلاعهم على سر انشقاق القمر سر جمعية نبينا ﷺ وختميته، لأنه لما كان آخر الرسل وأجمعهم تصرف في آخر الأفلاك وأجمعها للقوى والخواص العلوية وتصرف في هذا العالم وأعطي مفاتيح خزائن الأرض والسماء[1] ـ كما أخبر بذلك قبل موته بخمسة أيام ـ فزاد على كل من أعطى التصرف في شيء من هذا العالم على تعيين بإطلاق التصرف دون غيره.

[27 /16] وكمالاتها الدالة على جمعيته كثيرة، وأعظمها المستور في هذا العالم والمنكشف في الآخرة، كما أشار إليه في حديث القيامة في فتحه باب الشفاعة؛ وقوله أيضاً: «**فأقوم عن يمين العرش عند ربي في مقام لا يقوم فيه أحد من العالمين غيري**»[2]؛ وقوله: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»[3]، وذكره تفصيل ذلك.

[27 /17] ومن المتفق عليه شرعاً وعقلاً وكشفاً: أن كل كمال لم يحصل الإنسان في هذه النشأة وهذه الدار فإنه لا يحصل له ذلك بعد الموت في الدار الآخرة، فهذه الكلمات المشار إليها كلها كانت حاصلة له هنا، كتمها لما يقتضيه حكم هذه المواطن الذي هو عالم الستر ويظهر في الآخرة ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: 9] فإنه عالم الكشف وزمان المباهاة.

[27 /18] ومن جملة ما اختص به كمال الخلة الخارقة كل حجاب ولها درجة المحبوبية، فإن الخلة لها مرتبتان، غاية إحداهما كمال المجاورة مع بقاء الحجاب المعبر عنها بقولهم:

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) رواه الطبري في ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربي، ذكر اختصاصه بحمل لواء الحمد في ظل العرش. . ، [1/ 75].

(3) رواه البخاري في صحيحه، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ. . .﴾ [الإسراء: 3] حديث رقم (4435) [4/ 1745].

وتخللت مسلك الروح مني   وبذا سمي الخليل خليلا

[27/ 19] وقد أخبرنا بالفرق بين مرتبتي الخلة بقوله ﷺ في الأدعية المستجابة المذكورة في حديث الإسراء[1] ـ حال تردده بين موسى وربه في طلب التخفيف من الصلوة ومراجعته ربه ثلاث مرات ـ وقول الحق له

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب المعراج، حديث رقم (3674) [3/ 1410] ونصه كاملاً: عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي اللّه عنهما أن النبي ﷺ حدثهم عن ليلة أُسري به بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعاً إذ أتاني آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه إلى هذه فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعته يقول من قصِّه إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم أُتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبي ثم حُشي ثم أُعيد ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحُملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أُرسل إليه قال نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلِّم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أُرسل إليه قال نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلّم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أُرسل إليه قال نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أو قد أرسل إليه قال نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إلى إدريس قال هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا، قال جبريل قيل ومن معك قال محمد ﷺ قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد، ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل من معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قال مرحباً به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال =

آخراً: ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها يوم القيامة، ودعائه لأمته في الدعوتين، وقوله ﷺ: **وأخرت الثالثة يوم يلجأ الخلائق فيه إلى أخي إبراهيم**، ولا شك أن من يلتجأ إليه أعظم منزلة من الملتجيء المحتاج؛ فثبت بذلك وغيره رجحان مقامه على مقام الخليل عليه السلام.

[20/ 27] وأيضاً: فقد أخبرنا ﷺ: أن الخلائق إذا التجأوا يوم القيامة إلى إبراهيم ويقولون له: أنت خليل الله إشفع لنا، إنه يقول لهم: إنما كنت خليلاً من وراء وراء[1]، فنبه أن خلته من وراء حجاب باقٍ، ولما ثبت رجحان نبينا ﷺ على سائر الأنبياء عليهم السلام بما ذكرناه وبما سكتنا عنه وبما أخبرنا قبل موته بخمسة أيام أن اللّه قد اتخذه خليلاً، علمنا أن هذه الخلة ليست كتلك ـ لثبوت رجحانه على كافة الرسل ـ.

[21/ 27] ولما كان خلة الخليل من وراء حجاب، لزم أن تكون هذه

= جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال نعم قال مرحباً به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم قال هذا أبوك فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال هي الفطرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني واللّه قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال بما أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي.

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

الخلة حاصلة دون حجاب، وتلك مرتبة المحبوبية التي صرح بها أيضاً في حديث آخر وأنها عبارة عن أن يكون كل واحد من المحبين مرآة للآخر بحيث يصير كل واحد منهما محباً ومحبوباً وينطبع في كل واحد منهما ما ينطوي عليه الآخر تماماً. فافهم، فهذا هو سبب الجمعية المتضمنة للختمية وغيرها من كمالاته المنبه عليها من قبل.

[22/ 27] واعلم أنك متى استحضرت ما ذكرت لك في سر الكمال المحمدي وما انفرد به دون غيره، عرفت أن شرف من عداه من الأنبياء عليهم السلام من حيث الآيات هو بمقدار نسبته من الجمعية التي انفرد بها نبينا ﷺ، فترجحت آيات إبراهيم عليه السلام على من أعطى آية واحدة وآيتين بكثرة عدد الآيات وبعِظَمِها أيضاً، فإن أعظم آياته اختصاصه بعمارة الكعبة، لأن الأرض محل الخلافة وصورة حضرة الجمع؛ وورد في الحديث: «**إن الله دحى الأرض من تحت الكعبة**»[1]، فعين سبحانه بإبراهيم عليه السلام نقطة مركزية الأرض ومبدأ انتشائها وأسكنه بعد مفارقته هذه الدار السماء السابعة ـ محل روحانية الأرض ـ فثبتت نسبته مع صورة الأرض وروحانيتها. فافهم.

[23/ 27] وكذلك سخر له النار التي هي أعلى العناصر محلاً ومن حيثها افتخر إبليس على آدم، فلو وقع النزاع المذكور مع إبليس في حق إبراهيم عليه السلام لما ساغ لإبليس أن يفتخر على إبراهيم عليه السلام ـ لتسخير الحق له النار ـ فتذكر.

[24/ 27] وأما موسى عليه السلام: فمن آياته تجلي الحق له في عين حاجته ـ أعني النار ـ ومنها الشجرة، ومنها العصا، ومنها الحجر الذي انفجرت منه اثنتا عشرة عيناً؛ ومن آياته تسخير الحق الماء أولاً حين رمي في اليم فسلمه الله، وآخراً حين تبعه فرعون وقومه.

---

(1) أورده السيوطي في الدر المنثور قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ..﴾. [1/ 310] وعزاه إلى عبد بن حميد.

[25/ 27] وأما صحة نسب عيسى عليه السلام من مقام الجمعية: فبدخوله ذوقاً وحالاً في دائرة الجمعية المحمدية وانصباغه بحكمها، وبه ختم الله سبحانه أحكام هذه الشريعة ودولة أحكامها أيضاً، وهذا كله من الزيادة على ما خص به من قبل تعليم الحق إياه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وتمكنه من إحياء الموتى وخلق الطير من الطين وإحيائه بالنفخ وإبراء الأكمه والأبرص والاطلاع على ما يأكل الناس في بيوتهم وما يدخرون وإنزال المائدة، فافهم، تصب إن شاء الله.

[26/ 27] وإذ قد يسر الله ما التمس بيانه من أسرار مستندات حكم الفصوص وفك ختومها وكشف أصول مراتب من أضيف إليه دون التصدي لشرح الكتاب، وختمنا الكلام على مقام من ختم الله به كل شريعة ومقام.

[27/ 27] فلنختم ما كتبناه بقولنا: الحمد لله ولي الإِفضال والإِنعام، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى كافة، وعلى سيدنا محمد وآله السادة الكرام والكمل من إخوانه وورثته، الحائزين للمواريث التي تحقق بها على الكمال والتمام، حسبنا الله ذو الجلال والإكرام وصلى الله على أكمل الخلائق وآله العظام.

فهرس المحتويات